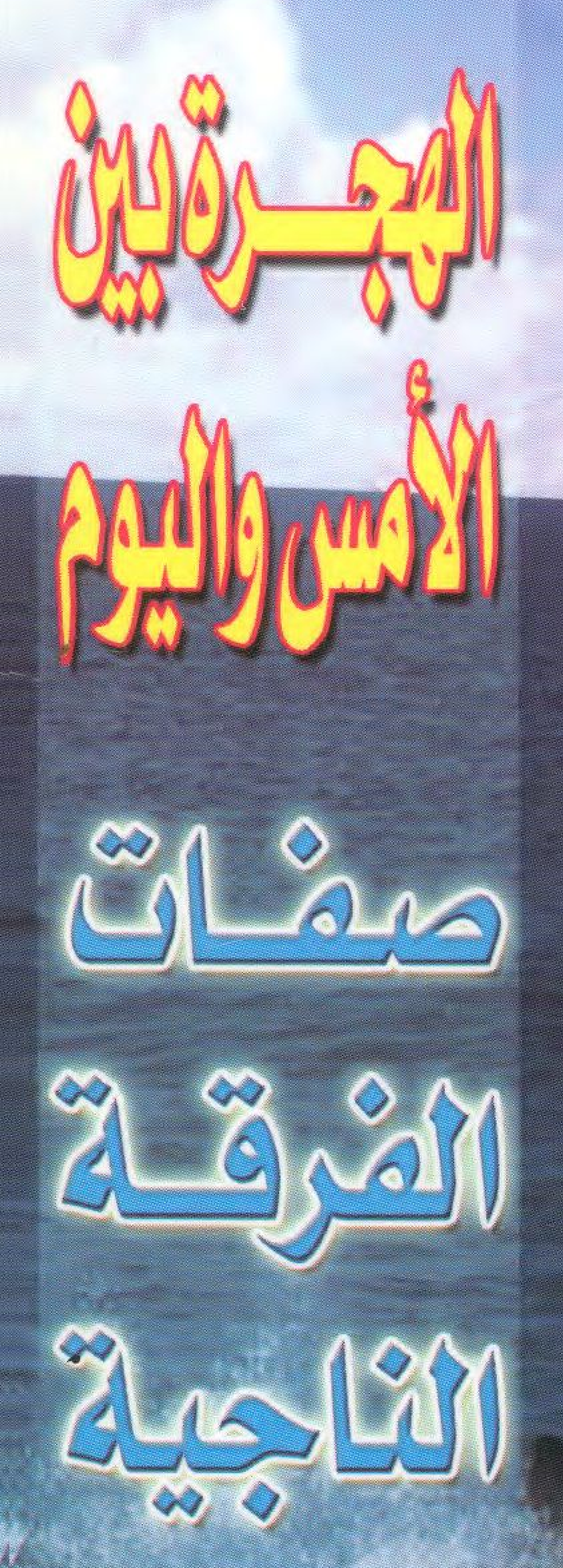



مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية
العدد ٣٩٧ السنة الرابعة والثلاثون محرم الثمن ١٥٠ قرشا







# عامٌ جديد ... بين آلام وآمال



رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com — التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع د. عبدالله شاكر abdllahshakr@yahoo.com — موقع المركز العام www.ELsonna.com

بسم الله الرحمن الرحيم


رئيس مجلس الإدارة
**د. جمال المراكبي**

المشرف العام
**د. عبد الله شاكر**

اللجنة العلمية
**د. عبد العظيم بدوي**
**زكريا حسيني**
**جمال عبد الرحمن**
**معاوية محمد هيكل**

رئيس التحرير
**جمال سعد حاتم**

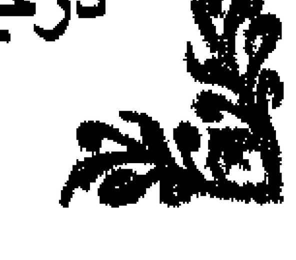
مدير التحرير الفني
**حسين عطا القراط**


# السلام عليكم

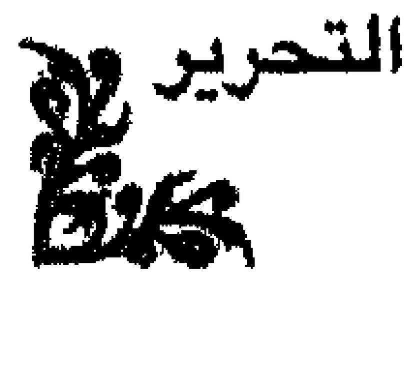
## العلماء الربانيون

كان الشيخ سعيد الحلبي جالسًا يلقي دروسه على طلبة العلم بمسجد من مساجد دمشق، وكان جالسًا مستريحًا مادًا رجله، فدخل عليه أحد الطغاة، فلم يغير الشيخ هيئته، فتغير الطاغية وكظم غيظه وانصرف، وأراد أن يشتري الشيخ بالأموال، فأرسل إليه ألف ليرة ذهبية، فرد الشيخ تلك الدنانير الذهبية، وأرسل معها رسالة قصيرة يقول فيها: «إن مَنْ يمد رجله لا يمد يده».

سبحان الله!! إنها عزة العلم وعفة العلماء الربانيين، وصدق رب العزة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾.



التحرير



# في هذا العدد




Mgtawheed@hotmail.com



**الاشتراك السنوي:**
١- في الداخل ٢٠ جنيهًا (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارًا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بسويفت أو بحوالة بنكية أو شيك على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة
(حساب رقم / ١٩١٥٩٠)

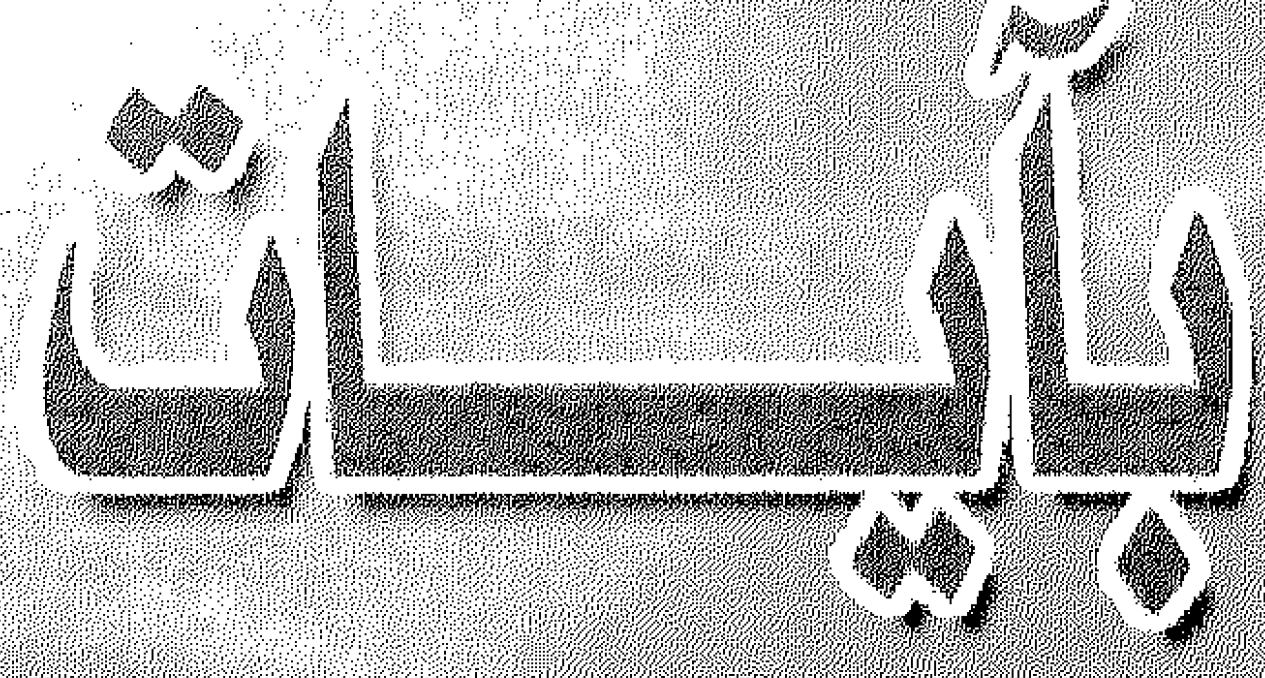
التوزيع الداخلي مؤسسة الأهرام وفروع أنصار السنة المحمدية

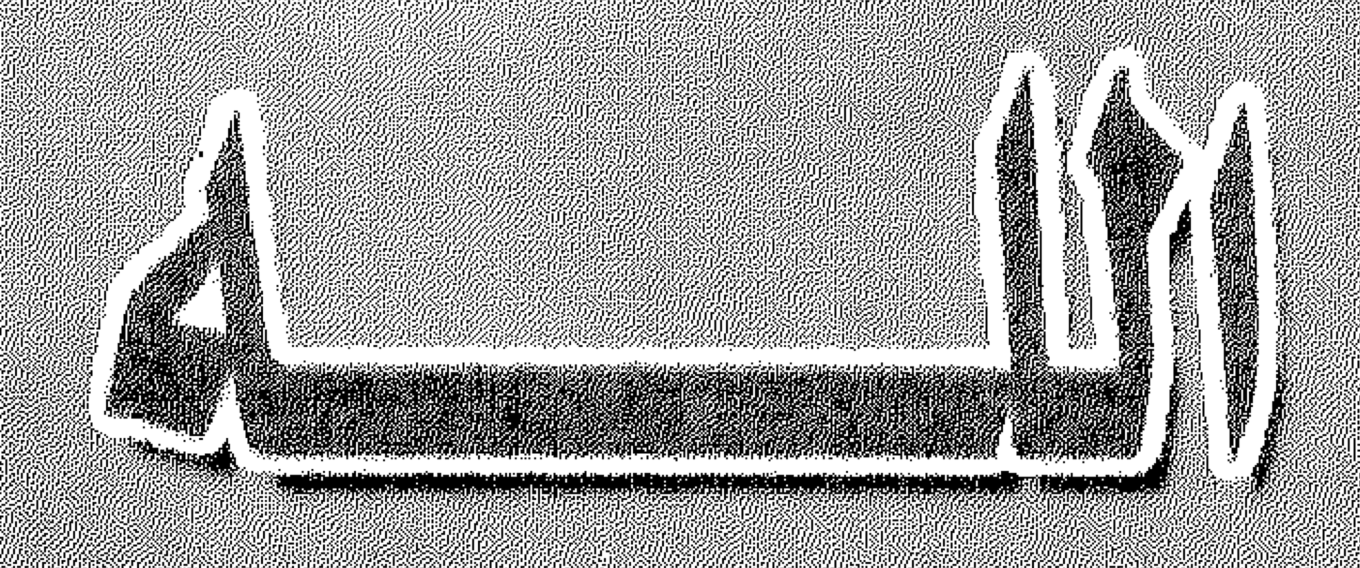
التحرير / ٨ شارع قوله عابدين. القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات
ت: ٣٩١٥٤٥٦
المركز العام: ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦
مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



# افتتاحية العدد




إعداد
الرئيس العام
د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى قوي قاهر، الأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسماوات مطويات بيمينه.

وهو غالب على أمره، يفعل ما يشاء، لا يعجزه شيء، كثرت جنوده وآياته لا يعلمها إلا هو.

فيرسل بالآيات بركة وعبرة للمؤمنين، وتخويفا وإنذارًا للكافرين.

وهو على كل ذلك حكيم عليم.

## الآيات من عند الله

الآيات: جمع آية وهي العلامة.

منها ما هو **مألوف ومعتاد** كقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ﴾ [الروم:٢٢].

وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا...﴾ [الروم:٢٠].

وقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ...﴾ [فصلت:٥٣].

قال الزجاج: معناه: نريهم الآيات التي تدل على التوحيد في الآفاق، أي: آثار من مضى قبلهم من خلق الله عز وجل في كل البلاد، وفي أنفسهم من أنهم كانوا نطفًا ثم علقًا ثم مُضغًا ثم عظامًا كسيت لحمًا ثم إلى التمييز والعقل، وذلك كله دليل على أن الذي فعله واحد ليس كمثله شيء تبارك وتقدس.

قلت: قد فسّر الآيات في الآفاق بآثار من مضى في البلاد، والآية تحتمل معنى سنريهم (في المستقبل) من الآيات ما يدل على أن القرآن حق من عند الله الخالق جلّ وعلا، وعلى هذا المعنى بنى أصحاب منهج الإعجاز مذهبهم في الإعجاز العلمي في القرآن.

ومن الآيات الكونية الباهرة الدالة على قدرة الله ووحدانيته كذلك ما هو **غير مألوف ولا معتاد**.

كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً....﴾ [المؤمنون:٥٠].

وقوله تعالى: ﴿.. وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ..﴾ [البقرة:٢٥٩].

والآية من القرآن: علامة على صدق رسول الله ﷺ، وإعجاز يتحدى الله عز وجل به الإنس والجن.

كقوله تعالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ...﴾ [البقرة:٢٥٢].

وقـوله تعـالى: ﴿تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَـابِ الْحَكِيمِ﴾ [يونس:١].

## موقف المؤمنين من آيات رب العالمين

وآيات الله المبثوثة في كتاب الكون المفتوح دعوة للتدبر والتأمل فيها، قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنْظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ * وَالْأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ * تَبْصِرَةً وَذِكْرَى لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ﴾ [ق:٥-٨] يتأمل فيها المؤمن عظيم تدبير الخلاق العليم، فإن عظم آثاره وأفعاله دليل على عظمة الخالق وجلاله، فتمتلئ القلوب له إعظامًا وإجلالا، فتستغرق الألسنة في ذكره والأبدان في طاعته والقلوب في التفكر في دلائل عظمته، فتتعلق القلوب به ذاكرة لاهجة منيبة خاضعة. ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران:١٩٠-١٩٢].

ثم يُعمِل المؤمن الذي اهتدى بنور الله عز وجل عقله بالتدبر؛ كيف يتحقق له من وراء تأمله في آيات ربه وسائل تحقق له الراحة والسعادة في معيشته، تكون ثمرة لهذا التأمل يزداد بالعلم بها إيمانًا ويقينًا، وبتسخير الله عز وجل له إياها شكرًا لله عز وجل وذكرا.

بينما يمر أهل الضلال والغفلة على آيات ربهم معرضين، ليس لهم في التأمل نصيب، وإذا تأملوا اكتفوا بظاهر الآية دون أن يصلوا بها إلى الإيمان بخالقها.

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ (١٠٥) وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ (١٠٦) أَفَأَمِنُوا أَنْ تَأْتِيَهُمْ غَاشِيَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف:١٠٥-١٠٧].

ثم إذا تبدلت نواميس الآيات المألوفة، فتزلزلت الأرض الراسية، وطغى الماء حتى تفجرت البحار وأغرقت السهول والوديان، إن في ذلك ما يوقظ القلوب الغافلة، ويثير مشاعر الخوف والخشية من الجبار القهار ذي البطش الشديد، الفعال لما يريد، ويقوي في القلوب عبودية التسليم لمن بيده مقاليد الأمور.

## الآيات مسخرة تسجد لربها وخالقها

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ...﴾ [النحل:٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَالُهُمْ..﴾ [الرعد:١٥].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ...﴾ [الحج:١٨].

وقال ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس، أتدري أين تذهب؟ قال أبو ذر: الله ورسوله أعلم. قال ﷺ: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيُؤْذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها، ويقال لها ارجعي من حيث جئتِ، فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [يس:٣٨]». [البخاري]

## وما نرسل بالآيات إلا تخويفًا

عن أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال لما كسفت الشمس: «هذه الآيات التي يُرسل الله لا تكون لموت أحد ولا لحياته، ولكن يخوّف الله بها عباده...». [خ(١٠٥٩)م (٩١٢)]

قال الحافظ ابن حجر: (قوله يُخوف: فيه ردّ على من يزعم من أهل الهيئة أن الكسوف أمر عادي لا يتأخر ولا يتقدم؛ إذ لو كان كما يقولون لم يكن في ذلك تخويف). [فتح الباري: (٢/٦٢٤)]

قال ابن دقيق العيد: ينبغي الخوف عند وقوع التغيرات العلوية.

وقال قتادة: (إن الله تعالى يخوف الناس بما شاء من الآيات لعلهم يعتبرون ويذكّرون ويرجعون). [تفسير ابن كثير]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: (والزلازل من الآيات التي يخوف الله بها عباده كما يخوفهم بالكسوف وغيره من الآيات، والحوادث لها أسباب وحِكم فكونها آية يُخوف الله عز وجل بها عباده هي من حكمة ذلك، وأما أسبابه فانضغاط البخار في جوف الأرض كما ينضغط الريح والماء في المكان الضيق، فإذا انضغط طلب مخرجًا، فيشق ويزلزل ما هرب منه من الأرض).

ولهذا تجد قلوب الموحدين إذا تغير شيء من ظواهر الكون المعتادة ونواميسه المعهودة يثور عندهم الخوف والوجل لقوة اعتقادهم في وحدانية ربهم مدبرًا لشئون خلقه، ما شاء وحده كان دون أن يُعجزه شيء.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كانت الريح الشديدة إذا هبت عُرف ذلك في وجه النبي ﷺ) [البخاري (١٠٣٤)]

وقالت عائشة رضي الله عنها كان النبي ﷺ إذا رأى مخيلة في السماء أقبل وأدبر، ودخل وخرج

وتغير وجهه، فإذا أمطرت السماء سُرِّي عنه، فعرَّفته عائشة ذلك، فقال النبي ﷺ: «وما أدري لعله كما قال قوم عاد (فلما رأوه عارضًا مستقبل أوديتهم قالوا هذا عارض ممطرنا.... أليم)» [البخاري (٣٢٠٦) م(٨٩٩)]

قال ابن حجر رحمه الله: وتأمل معي حال القلوب عند وقوع الآيات وقد دب فيها الخوف والهلع وحالها بعد انكشاف الضُّر.

ففيه إشارة للمسلم وتنبيه له على سلوك طريق الخوف والرجاء. ا.هـ [فتح الباري (٦١٩/٦)]

لذلك حث النبي ﷺ على الذكر والدعاء والصدقة والعتق والفزع إلى الصلاة عند نزول تلك الآيات.

فقال ﷺ: «... فإذا رأيتم ذلك فافزعوا إلى ذكره ودعائه واستغفاره». [البخاري]

وقال في الحديث الذي رواه ابن مسعود: «..فافزعوا إلى الصلاة فإنها إن كانت التي تحذرون كانت وأنتم على غير غفلة، وإن لم تكن قد أصبتم خيرًا». [مسند أحمد]

## النهي عن طلب الآيات

طلب الخوارق والمعجزات من شأن أهل الباطل الذين لن ينتفعوا بها ولا تزيدهم إلا عتوًا وعنادًا وإعراضًا عند ربهم، لأنها لا يطلبها إلا متعنت مكابر معاند.

قال تعالى: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالآيَاتِ إِلاَّ أَنْ كَذَّبَ بِهَا الأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالآيَاتِ إِلاَّ تَخْوِيفًا﴾ [الإسراء:٥٩].

روى أحمد في مسنده (١٣٦٤٤) بإسناده عن جابر قال: لما مرّ رسول الله ﷺ بالحِجر قال: «لا تسألوا الآيات وقد سألها قوم صالح فكانت تَرِدُ (أي الناقة) من هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها، فكانت تشرب ماءهم يومًا ويشربون لبنها يومًا فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله عز وجل من تحت أديم السماء منهم....» الحديث.

## من حكم إرسال الآيات الكونية

● **تأتي الآيات تخويفًا للمسلمين** ممن شاء الله عز وجل ردعهم من الغافلين وذلك بذنوبهم وما كسبت أيديهم، فالذي أهلك بها أقوامًا أعرضوا عن الله تعالى قادر على أن يهلك بها الآخرين من المعرضين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى:٣٠].

● **وتأتي الآيات تطهيرًا للمؤمنين ورحمة من الله بهم:** عن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول ﷺ: «أمتي هذه أمة مرحومة ليس عليها عذاب في الآخرة، وعذابها في الدنيا الفتن والزلازل والقتل». [أبو داود (٤٢٧٨) الصحيحة (٩٥٩)]

● **ومن الآيات ما هو بركة للمؤمنين:**

سمع عبد الله بن مسعود - بخسف - فقال: كنا أصحاب محمد ﷺ نعد الآيات بركة وأنتم تعدونها تخويفا ، كنا مع رسول الله ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال اطلبوا فضلة من ماء فجاءوا بإناء فيه ماء قليل؛ فأدخل يده في الإناء ثم قال: حي على الطهور المبارك والبركة من الله، فلقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنا نسمع تسبيح الطعام وهو يؤكل. [البخاري (٣٥٧٩)]

فانظر إلى الآيات وخوارق العادات فإن منها بركات وخيرات من الرحمن على أهل الإيمان، ولا تنظر إليها على أنها عذاب أو نكال بالمكذبين فحسب.

● **وتأتي الآيات هلاكًا للكافرين** وتدميرًا لهم على تمردهم وطغيانهم وسوط عذاب الله تعالى عليهم، قال تعالى: ﴿فَكُلاًّ أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت:٤٠].

وكم خوَّفهم الله تعالى من نزول تلك الآيات بهم ولكنهم زادوا في طغيانهم، قال تعالى: ﴿...وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلاَّ طُغْيَانًا كَبِيرًا﴾ [الإسراء:٦٠].

● **وتأتي الآيات تذكيرًا بأهوال يوم القيامة:**

يوم يقوم الناس لرب العالمين، يوم الرجفة، يوم الزلزلة، يوم القارعة، فالأرض تُزلزل، والجبال تُنسف وتُسيّر، والبحار تُفجّر، والسماء تمور، والشمس تذهب فتُكوّر.

وكثرة الآيات التي تتبدل فيها النواميس المعهودة التي أودعها الله عز وجل في كونه من أشراط وعلامات قرب الساعة. فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ «لا تقوم الساعة حتى يُقبض العلم وتكثر الزلازل ويتقارب الزمان وتظهر الفتن ويكثر الهرْج (وهو القتل) وحتى يكثر فيكم المال فيفيض» [البخاري (١٠٣٦)]

ثم تأتي آيات تأذن بقيام الساعة وانقطاع التوبة.

فهل آن الأوان للعود الحميد إلى الله المجيد الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات؟

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج:١-٢].

والحمد لله رب العالمين







الحمد لله معز الإسلام بنصره، ومذل الشرك بقهره، ومصرِّف الأمور بامره، ومستدرك العاصين بمكره، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وبعد:

يَهِلُّ علينا بعد ساعات عام هجري جديد، وفي مستهل كل عام هجري، ومع إشراقة كُلِّ سنة: تبرزُ في تاريخنا الإسلامي المجيد أحداث عظام، ووقائع جسامٌ لها مكانتُها عند أهل الإسلام ولها اثرها البالغ في عز هذه الأمة ونصرها، وقوتها، وصلاح شريعتها لكُلِّ زمان ومكان.

نستقبل عامًا هجريًا جديدًا ونحن على طرف قنطرة توشك أن نعبرها لتستقِّر أقدامُنا على طرف قنطرة أخرى، فخطوةٌ نودع بها، وأخرى نستقبل بها، نقف بين قنطرتين مودعين ومستقبلين، مودعين موسمًا كاملا أودعنا فيه ما شاء الله أن نودع، فخزائن بعضنا ملأى بما هو له، وخزائن بعضنا ملأى بما هو عليه، ومن الناس من جمع ماله وما عليه.

إن تعاقب الشهور والأعوام على العبد، قد يكون نعمة له أو نقمة عليه، فطول العمر ليس نعمة بحد ذاته، فإذا طال عمر العبد ولم يعمره بالخير، فإنما هو يستكثر من حجج الله تعالى عليه.

أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن أبي بكرة رضي الله تعالى عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ «خير الناس من طال عمره وحسن عمله، وشر الناس من طال عمره وساء عمله».

طول الحياة حميدة ... إن راقب الرحمنَ عبدُه
وبضدها فالموت خير ... والسعيد أتاه رشدُه

## فليعتبر أولي الأبصار

نودع عامًا قد انقضى، ووقفة الوداع مثيرة للأشجان مهيجة للأحزان؛ إذ هي مصاحبةُ للرحيل مؤذنة بانقضاء عام من عمر الزمان، تَقَلَّبَتْ فيه أحوال، وفنيت أعمار، ونزلت بالأمة فيه نوازلُ تُقضّ لها مضاجع أولي الألباب، وتهتزّ لها أفئدتهم، وتدمى منها قلوبهم، وإذا كان ذهاب الليالي والأيام ليس لدى الغافلين اللاهين غير مُضيّ يوم ومجيء آخر، فإنه عند أولي الأبصار باعث حيٌ من بواعث الاعتبار، ومصدر متجدد من مصادر العظة والادّكار، يُصَوِّر ذلك ويبينُه أبلغ بيان قول أبي الدرداء رضي الله عنه فيما رواه الحسن البصريّ رحمه الله عنه أنه قال: «يا ابن آدم، إنما أنت أيام فإذا ذهب يومٌ ذهب بعضك» [أخرجه البيهقي في الشعب ٧/٣٨١]

ويُصَوِّره أيضًا قول بعض السلف: «كيف يفرحُ بمرور الأعوام مَن يومُه يهدم شهره، وشَهْره يهدم سنته، وسنتُه تهدم عُمرُه؟! كيف يفرح من يقوده عُمره إلى أجله، وحياته إلى موته».

[جامع العلوم والحكم ص٣٨٣]

وإذا كنا نودعُ عامًا قد مضى فإن في وداع العام وقفة محاسبة للنفس، بالوقوف منها موقف التاجر الأريب من تجارته، ألم تروا إليه كيف يجعل لنفسه زمنًا معلومًا ينظر فيه إلى مَبلغ ربحه وخسارته، باحثًا عن الأسباب، متاملا في الخطا والصواب؟!

ويسلك المسلم الواعي هذا المسلك الرشيد ليربو في شرف

مقاصده ونُبل غاياته وسمّو أهدافه على ذلك، لأنه سَعيٌ إلى الحفاظ على المكاسب الحقة التي لا تبور تجارتها، ولا يكسدُ سوقها، ولا تفنى أرباحها، من كنوز الأعمال وأرصدة الباقيات الصالحات التي جعل الله لها مكانًا عليًا ومقامًا كريمًا، وفضلها على ما سواه، فقال سبحانه: ﴿ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلاً ﴾

[الكهف:٤٦].

## وقفة مراجعة وتأمل

ونحن نودعُ عامًا قد طُوي في عمر الزمان، على العاقل منا أن يقف مع نفسه وقفة محاسبة، وإن ارتباط المحاسبة والمراجعة بالتغيير نحو الأفضل والأكمل وثيق العرى وطيد الصِّلات إذ المراجعة والمحاسبة تظهران المرء على مواطن النقص ومواضع الخلل، ومكامن العلل، فإذا صح منه العزم، وصلحت النية واستبان الطريق وصدَّق ذلك العملُ جاء عون الله بمدد لا ينفد، فاورث حسن العاقبة وكريم الجزاء، قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩].

وإذا كانت الأمة تودِّع عامًا منصرمًا، وتستقبل عامًا جديدًا فإن الحاجة إلى سلوك نهج المراجعة والمحاسبة ليس مختصًا بافراد او بطائفة من دون الناس، بل إن الأمة المسلمة بمجموعها مفتقرة إليه، ولا غناء لها عنه، لكنها في حق الأمة مراجعة تتَّسع أبعادُها، ويعم نِطاقها، ويعظم نفعها، إذ هي نظرة شاملة للأحداث، وتأملٌ واعٍ للنوازل، وتداركٌ للهفوات، وتدارس دقيق للعظات والعِبَر وسعي حثيث من بعد ذلك إلى تصحيح المسار، وإقامة العوج لتذليل الطريق أمام استئناف الحياة الإسلامية القويمة المرتكزة على هدى الوحيين، المستضيئة بانوار التنزيلين.

وصدق رب العزة سبحانه إذ يقول: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ (١٨) وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾

[الحشر:١٨-٢٠]

## إلى متى الغفلة يا عباد الله؟!

«إن استقبال هذه الأمة لعام جديد من حياتها هو بِمَجَرَّدِهِ حدثٌ لا يستهان به، وإن بدا في أنظار الناس حدثًا هينًا يطُول أملهم، وقسوة قُلُوبهم فالأيام مَرَاحل ومطايا تُبعد من الدنيا، وتُدْني من الآخرة، فكل يوم يُدْني من القبور، وَيُبْعدُ عن عامر الدُّور فإلى متى الغفلة؟! وماذا ران على القلوب، وماذا غشي البصائر والأبصار؟ إن الموفَّق مَن يسعى لصلاح حاله بحيث يكون غده افضل من يومه، ويومُه خيرًا من أمْسِه، وعامه الجديد أفضل من عامه الماضي، والكيِّس من حاسب نفسه، وفتح صفحة جديدة من حياته، وتعهَّد رصيدَهُ الأُخرويَّ وتزود من العمل الصالح، وقدر لخطاهُ مواضعها خشية الانْزلاق إلى مَهَاوي الفساد العقدي والفكريِّ والسُّلُوكيِّ.

نَستقبل عامًا جديدًا وامتنا حُبْلَى بالمشكلات، وتكلى بالفِتَن والمغريات، ضعف وفرقة وشتات، ذلة ومهانة وخلافات، وبنظرة فاحصة متانية تجد أمة قد تكالب عليها الأعداء، فإلى أي حد امتدت أيدي اعداء الأمة ما بين غزو فكري ودمار وتخريب وقتل وتغريب، وسُحُب المحن تتطلب من ابناء الإسلام شحذًا للهمم وعودة لديننا الحنيف، فحدث الهجرة حدث جعله الله سبحانه طريقًا للنصر والعزة، ورفع راية الإسلام وتشييد دولته، وإقامة صرح حضارته.

**ذهاب الليالي والأيام ليس لدى الغافلين اللاهين غير مُضيّ يوم ومجيئ آخر، وعند أولي الأبصار باعث حيّ من بواعث الاعتبار، ومصدر متجدد من مصادر العظة والادكار**

إن في هذا الحدث العظيم من الدروس والعبر ما لو استلهمته أمة الإسلام اليوم وعملت على ضوئه وهي تعيش على مفرق الطرق، وتشعُّب السبل لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها.

وإذا كانت نهاية العام المنصرم حجًا وعمرة، وصيامًا ليوم عرفة في حق غير الحاج فإن فرص افتتاح العام الجديد أيضًا قائمة متاحة لمن هُدِي ووُفِّق وأُعين.

وإن من أظهر ذلك صيام شهر المحرم فإنه أفضل الصيام بعد رمضان كما جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «أفضل الصيام بعد رمضان شهر الله الذي تدعونه المحرَّم، وأفضل الصلاة بعد الفريضة صلاة الليل» [صحيح مسلم كتاب الصيام] وكفى به أن يشتمل على يوم عاشوراء الذي قال فيه رسول الله ﷺ: «أحتسب على الله أن يُكفِّر السَنَةَ التي قبلَه» [اخرجه مسلم في صحيحه]، والسُنَّةُ أن يصوم يومًا قبله أو يومًا بعده، فقد عزم ﷺ على أن يصوم قَبْلَهُ يَوْمًا؛ مخالفة لأهل الكتاب.

## تدخل سافر في شئون مصر

وإذا كنا نستقبل عامًا جديدًا ونطوي عامًا آخر ومازالت الضربات تتوالى من الأعداء، فبالأمس القريب قامت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة مادلين أولبرايت بزيارة إلى مصر، التقت خلالها بعدد من المثقفين والإعلاميين والسياسيين وبعض أصحاب المراكز المشبوهة وبحثت معهم الأوضاع السياسية في مصر وقضايا الإصلاح. وإذا كانت مهمة أولبرايت مهمة رسمية وبناءً على تكليف من ديك تشيني نائب الرئيس الأمريكي الذي أصدر بوش قرارًا بتوليه مسئولية تقييم الأوضاع الديمقراطية في مصر والسعودية والعراق باعتبار أن الدول الثلاث سيكون لها النصيب الأكبر في قيادة العالم العربي نحو الديمقراطية الزائفة وفقًا للمفهوم الأمريكي!! وقد أنشئ لهذا الغرض هيئة أمريكية جديدة تتبع البيت الأبيض مباشرة، وتلحق علنًا بمجلس الأمن القومي الأمريكي مهمتها الأساسية متابعة التطورات الديمقراطية في العالم العربي وتضم الهيئة ٤٠ متخصصًا من كافة المراكز المعنية وستكون مهمتهم الأساسية إعداد البرامج والأطروحات والأفكار التي تفضي إلى نشر الديمقراطية طبقًا لحالة كل دولة على حدة، وبعد زيارتها لمصر وعدد من دول المنطقة أعدت أولبرايت تقريرًا مبدئيًا عن كل بلد قامت بزيارته.

وفي تقريرها الذي رفعته للإدارة الأمريكية انتقدت مادلين أولبرايت الأوضاع الديمقراطية في مصر ووصفتها بانها ديمقراطية بيروقراطية. وانتقد تقرير أولبرايت المؤسسات التي تدعي مصر انها ديمقراطية قائلة: إن المجلس القومي لحقوق الإنسان مازال ينقصه الكثير من حرية الحركة والإطار الواسع الذي يجعله قادرًا على أداء دوره في حماية حقوق الإنسان!!

وأشار التقرير إلى أن أعضاء مجلس الشعب هم أقرب إلى كونهم معينين من قبل الحكومة، وانهم بعيدون عن الممارسة الديمقراطية وأن الحكومة تستطيع سحق أي معارضة في الانتخابات من خلال الإجراءات البوليسية وتكميم الأفواه!! والكثير مما اشتمل عليه التقرير مما يعد تدخلا سافرًا في شئون مصر والمصريين!!

## أولبرايت ومشروع الدين الإسلامي الجديد

وكما دأبت أمريكا على تمويل المراكز المشبوهة أمثال مركز ابن خلدون فقد حرصت أولبرايت أثناء زيارتها الأخيرة لمصر على زيارة مركز ابن

الهجرة حدث جعله الله سبحانه طريقًا للنصر والعزة، ورفع راية الإسلام وتشييد دولته، وإقامة صرح حضارته، لو استلهمته أمة الإسلام اليوم لتحقق لها عزها وقوتها ومكانتها

خلدون لتكشف المزيد من التفاصيل حول ما يسمى «بالإسلام الجديد» وخلال لقائها بأعضاء المركز ومنهم جمال البنا ذو الميول الليبرالية الإسلامية والذي يدعو إلى إنكار السُنّة استمعت إليه أولبرايت وهو يتحدث عن سياسة المركز وانه بصدد مشروع إسلامي جديد يهدفون من ورائه إلى تحقيق ثورة في الإسلام، وإعادته إلى جذوره التي تنبع من القرآن الكريم فقط، وأضاف البنا لأولبرايت قائلا: إن اكبر عامل في تشويه صورة الإسلام هو الفقهاء الذين قدموا أعمالا ترفض الرأي الآخر وتحض على الإرهاب، متجاهلا أن من يتحدث إليها لا تعرف شيئًا عن الإسلام لكي ترد عليه، ولم تقرا لواحد من هؤلاء الفقهاء الذين اتهمهم البنا بتشويه صورة الإسلام وتجاهل ما تفعله أمريكا عبر عملائها لتشويه الإسلام وربطه بالإرهاب دائمًا إلى الحد الذي أعلن فيه بوش حربه الصليبية على الإسلام.

واكدَ البنا لمادلين أولبرايت أن الإسلام الذي نتعامل به الآن ليس هو الإسلام الحقيقي وقدم لها ملخصًا لكتاب «تجديد الإسلام» والذي يحمل ملخص مشروع الإسلام الجديد!!

### مجمع البحوث والفرقان الأمريكي

وفي محاولة لإفساد ما يكيله أعداء الإسلام للمسلمين فقد طالب أعضاء مجمع البحوث الإسلامية في اجتماعهم الشهري الأسبوع الماضي بوقف ومنع تداول «الفرقان الأمريكي» القرآن البديل المزيف لما اشتمل عليه من تزييف وتحريف للقرآن الكريم.

وصرح احد أعضاء المجمع بانه تم إعداد تقرير حول هذا الكتاب بعد أن اكتُشِف بانه يتم توزيعه بين الشباب المسلمين وغير المسلمين!!

وقد أكد الدكتور نصر فريد واصل مفتي مصر السابق وعضو مجمع البحوث الإسلامية أن الفرقان الأمريكي الذي يتم تداوله الآن هو خطر يجب الوقوف ضده خاصة انه يتم تداوله بين العامة من المسلمين والأميين، الأمر الذي من شانه أن يزعزع عقيدة هؤلاء لذلك يجب التنبه إلى أكاذيب هذا الفرقان!!

وإذا كانت الأمة تستقبل عامها الجديد بجسد مقطع الأعضاء، مشتت الأشلاء، وبجروح نازفة في مواقع عديدة، ومواجع وفجائع، هزت أعصاب المسلمين، وفتقت أشجانهم، والأمة إذا جنحت إلى الشهوات، وأحبت الآثام، واشتغلت بالخبيث عن الطيّب أسرها الهوى، وفقدت الشعور بالمسئولية، فضلّ سَعيُها، وخاب أمرها، تسلّط عليها عدوّها جزاءً وفاقًا.

وعلى الرغم من الأثقال والأدواء فإن فجرًا صادقًا يلوح في الأفق على مستوى الأمة، فهي تملك مقومات الحضارة، وإمكانات السيادة، بالإيمان والعمل الصالح، بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الله حزن الأمة فرحًا، وعسرها يسرًا، وذلها عزًا، وضعفها قوة، لتكون كما أراد الله خير أمة أخرجت للناس قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ...﴾ [آل عمران:١١٠].

نسأل الله العليّ العظيم بأسمائه الحسنى وصفاته العُلى أن يجعل عامنا الجديد عامًا مباركًا، وأن يجعله عام خير وبركة، ونصر للإسلام والمسلمين في كل مكان، وعام ذُل وهوان لأعداء الإسلام والمسلمين، ونسأله سبحانه أن يجعل منه عام يقظة وصلاح، ونقطة تحول وفتح لصفحة جديدة، وصلاح لأحوال المسلمين في كل مكان، وهزيمة ساحقة لأعداء الله ورسوله والمؤمنين؛ ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف:٢١]

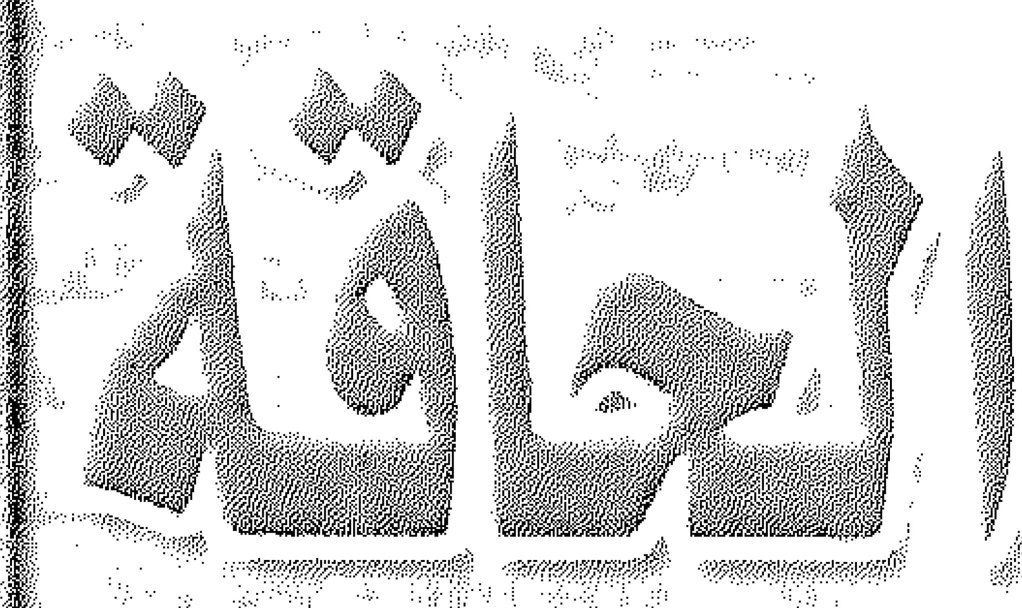
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

على الرغم من الأثقال والأدواء فإن فجرًا صادقًا يلوح في الأفق على مستوى الأمة، بالإيمان والعمل الصالح، بالدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يجعل الله حزن الأمة فرحًا، وعسرها يسرًا، وذلها عزًا، وضعفها قوة

باب التفسير

# سورة الحاقة

## الحلقة الثانية



إعداد

د. عبد العظيم بدوي

يقول تعالى: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ (١٥) وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ (١٦) وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ (١٧) يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ (١٨) فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ (٢٤) وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ (٢٦) يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ (٢٧) مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ (٢٩) خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ (٣٢) ﴾ [الحاقة: ١٣- ٣٣].

يقول تعالى مخبرًا عن أهوال يوم القيامة: ﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾، الصور خَلْقٌ عظيمٌ مثلُ البوق، وقد ذُكِرَ في القرآن الكريم، وثبت في السنة أن الله قد وكل به ملكًا من الملائكة المقربين وهو إسرافيل عليه السلام، وأخبر النبي ﷺ أنه قد أخذ أهبة الاستعداد للنفخ، فقال ﷺ: «كيف أنعم وقد التقم صاحبُ القرْن القرنَ، وحنا جبهته، وأصغى سمعه، ينتظر أن يُؤْمَرَ فينفخ؟» فكأنّ ذلك ثَقُلَ على أصحابه، فقالوا: فكيف نفعلُ يا رسول الله أو نقول؟ قال: «قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، على الله توكلنا».

[صحيح. رواه الترمذي: ٢٥٤٨/٤٢/٤]

والنفخ مرتان: نفخة الإماتة، ونفخة الإحياء، قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴾ [الزمر]، وبين النفختين أربعون، كما في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون» قيل أربعون يومًا؟ قال أبو هريرة: أبَيْتُ. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: «أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت». [متفق عليه]

﴿ فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ وهي نفخة الفزع والإماتة حصل بها تغير عظيمٌ في الكون كله، ﴿ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً (١٤) فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴾ أي: قامت القيامة، والواقعة ثالث اسم من الأسماء التي أطلقت على يوم القيامة في هذه السورة، فقد سبقَ تسميته بالحاقة والقارعة، ثم أطلق عليه هنا الواقعة لتحقّق كونه ووجوده، ﴿ وَانشَقَّتِ السَّمَاءُ ﴾ بسبب النفخ ﴿ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴾ أي ضعيفة بعد شدّتها، كما قال تعالى: ﴿ فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧) السَّمَاءُ مُنفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا ﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]، فإذا السماء انفطرت

وانشقت، بسبب هذه النفخة، فكيف بكم أنتم معشر الناس؟!

وقوله تعالى: ﴿وَالْمَلَكُ عَلَى أَرْجَائِهَا﴾ يعني: إذا انشقت السماء قامت الملائكة على حافاتها، يردّون الشارد، ويدفعون الهارب، ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾ من الملائكة، وقد حدّث النبي ﷺ عن عظمة خلقهم فقال: «أُذِن لي أن أحدّث عن ملك من حملة العرش أن ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام». [صحيح، رواه أبو داود: ٤٧٠١، ١٣/٣٦]. وقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾ أي: تعرضون على الملك الكبير المتعال، كما قال تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾ [الكهف: ٤٨]، ﴿لَا تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾، فالكل مكشوفٌ، مكشوفُ الجسد، وتسقط جميع الأستار التي كانت تحجبُ الأسرار، وتتعرى النفوس وتُعَرَّى الأجساد، وتبرز الغيوب بروز الشهود، ويتجرد الإنسان من حَيْطته ومن مكره ومن تدبيره ومن شعوره، ويفتضح منه ما كان حريصًا أن يستره حتى عن نفسه، وما أقسى الفضيحة على الملأ وما أخزاها على عيون الجموع! أما عين الله فكلّ خافية مكشوفةٌ لها في كلّ آن، ولكن لعل الإنسان لا يشعر بهذا حقّ الشعور، وهو مخدوع بستور الأرض، فها هو ذا يشعر به كاملاً وهو مجرد في يوم القيامة، وكل شيء بارز في الكون كله، الأرض مدكوكةٌ مسوّاة لا تحجب شيئًا وراء نتوءٍ ولا بروز، والسماء متشققة واهية لا تحجب وراءها شيئًا، والأجسام معرّاة لا يسترها شيء، والنفوس كذلك مكشوفة ليس من دونها ستر، وليس فيها سر.

فاللهم استرنا بسترك ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، فإذا عُرض العبادُ على الله سبحانه كانوا فريقين: ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: ٧]، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ (١٩) إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ (٢٠) فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ (٢١) فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ (٢٢) قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ (٢٣) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾، والمراد بالكتاب كتاب الأعمال، ولكلّ عبدٍ كتاب، كما قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا﴾، ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، فلكلّ عبدٍ كتاب، فإذا حُشر العبادُ تطايرت هذه الكتب حتى يقع كلّ كتابٍ في يد صاحبه، فمنهم الآخذ بيمينه، وذلك الناجي، ومنهم من تُطْوَى شمالُه وراءَ ظهره فيأخذ بها، وذلك الشقي الهالك، ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ﴾ لكلّ مَنْ لقيه: ﴿هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ﴾، وذلك لاعتقاده أنه ليس فيه ما يسوؤه، ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ أي كنتُ على يقين أنني محاسبٌ بعملي ومَجزيٌّ به، فاتقيت المحارم، واجتهدت في طاعة الله، فالظنّ هنا بمعنى اليقين، لأن الظنّ الذي هو بمعنى الشك ﴿لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾، قال تعالى: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ أي مَرضية ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾ أي رفيعةٌ قصورُها، حسانٌ صورها، نعيمةٌ دورُها، دائمٌ حبورُها، ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ﴾ كما قال تعالى: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرحمن: ٥٤]، وقال تعالى: ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا﴾ [الإنسان: ١٤]، ومع هذا النعيم الحسّي فالملائكة يدخلون عليهم من كل باب يقولون لهم: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ﴾ بمعنى ﴿إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُم مَّشْكُورًا﴾ [الإنسان: ٢٢]، والمراد بالأيام الخالية يعني الماضية، وهي أيام الدنيا، وهكذا يحدّثنا الله عن الدنيا ونحن مازلنا فيها، يحدثنا عنها بلفظ الماضي لأن زوالها قريب، وهو متحقق، فهو يحدثنا عنها وكأنها قد زالت فعلاً، وكأن أهل الجنة قد تبوأوا منازلهم فيها، وكأن أهل النار قد تبوأوا منازلهم فيها، حتى لا يطول بالإنسان أملٌ، فيقعده عن خير العمل. وقد أخرج البيهقي عن نافع قال: خرج ابنُ عمر في بعض نواحي المدينة ومعه أصحابٌ له، ووضعوا سُفرةً لهم، فمرّ بهم راعي غنم، فسلم فقال ابن عمر: هلم يا راعي، هلم فأصِبْ من هذه السُفرة، فقال له: إني صائم، فقال ابن عمر: أتصومُ في مثل هذا اليوم الحارّ الشديد سَمُومه، وأنت في هذه الجبال ترعى هذه الغنم؟ فقال له: إني والله أبادرُ أيامي الخالية. فقال له ابن عمر- وهو يريدُ أن يختبر ورعه-: فهل لك أن تبيعنا شاةً من غنمك هذه فنعطيك ثمنها ونعطيك من لحمها فتفطر عليها؟ فقال: إنها ليست لي بغنم، إنها غنم سيدي. فقال له

ابن عمر: فما عسى سيدك فاعلاً إذا فقدها فقلت أكلها الذئب؟ فولّى الراعي عنه، وهو رافعٌ إصبعه إلى السماء، وهو يقول: فأين الله؟ قال: فجعل ابن عمر يردد قول الراعي، وهو يقول: قال الراعي: فأين الله؟ فلما قدم المدينة بعث إلى مولاه فاشترى منه الغنم والراعي، فأعتق الراعي ووهب منه العلم.

فيا عباد الله، حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا، فإنه أخفّ عليكم في الحساب غدًا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم، وتزينوا للعرض الأكبر ﴿ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لاَ تَخْفَى مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴾.

عن صفوان بن محرز قال: كنتُ آخذًا بيد ابن عمرَ إذ عرض له رجلٌ فقال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله يُدْني المؤمنَ فيضعُ عليه كنفَه ويستره من الناس ويقرِّره بذنوبه، ويقول له: أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرفُ ذنب كذا؟ أتعرفُ ذنب كذا؟ حتى إذا قرّره بذنوبه ورأى في نفسه أن قد هلك قال: سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم، ثم يُعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم، ألا لعنة الله على الظالمين».

﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ (٢٥) وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴾، فما كان يظن يومًا أنه محاسب بأعماله، كما قال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ (١٠) فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا (١١) وَيَصْلَى سَعِيرًا (١٢) إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا (١٣) إِنَّهُ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴾ أي: كان يعتقد أنه لا يرجع إلى الله ولا يعيده بعد موته، فلما رأى ما لم يحسب حسابه لم يجد إلا أن يتمنى الموت بعد أن كان الموت أكره إليه من كل شيء، فقال: ﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴾ التي تنهي وجوده أصلاً فلا يعود بعدها شيئًا، ثم تحسّر على عدم انتفاعه بماله ولا جاهه، فقال: ﴿ مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ (٢٨) هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾، وهذه حقيقة طالما ذكّر بها القرآن الأثرياء والوجهاء، ولكنهم نسوها أو تناسوها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُوْلَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴾ [آل عمران: ١٠]، وقال تعالى: ﴿ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى (٨) وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى (٩) فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى (١٠) وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّى ﴾ [الليل: ١٨- ١٩].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلاَ أَوْلادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَى إِلاَّ مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُوْلَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ ﴾ [سبأ: ٣٧].

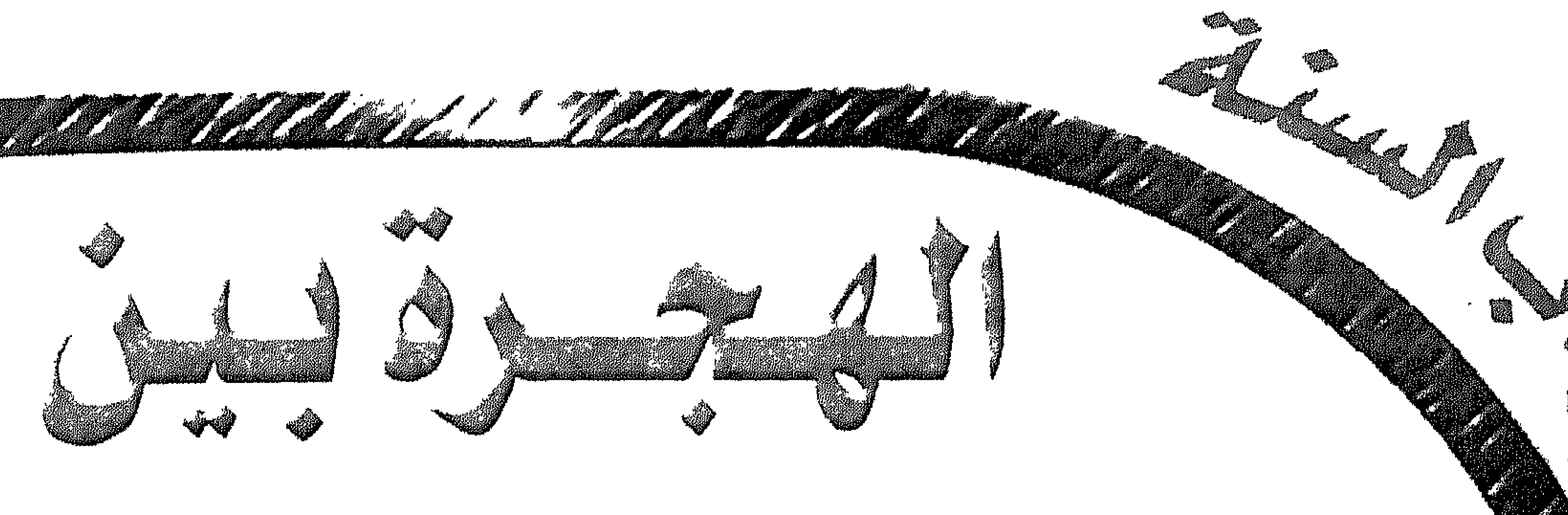
ومن دعاء الخليل إبراهيم عليه السلام: ﴿ وَلاَ تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ (٨٧) يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴾ [الشعراء: ٨٧- ٨٩]

وأما قوله: ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ فقد يُراد بالسلطان الجاه، فيكون تحسُّرًا على عدم انتفاعه بجاهه في هذا اليوم العصيب، وهذه أيضًا حقيقة طالما نبه عليها رسول الله ﷺ، فلقد كان يهلل بعد الصلاة بهذه الكلمات: «لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، اللهم لا مانع لما أعطيت، ولا معطي لما منعت، ولا ينفع ذا الجد منك الجد». [متفق عليه]

والجـدّ هو الحظّ والغنى والعظمة والسلطان، أي: لا ينفع ذا الحظّ في الدنيا بالمال والولد والعظمة والسلطان منك حظّه، أي: لا ينجيه حظّه منك، وإنما ينفعه وينجيه العمل الصالح.

وقد يرادُ بالسلطان الحجةُ والبرهان فيكون المعنى: ﴿ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴾ أي: بطلت حجتي، وضاع برهاني، وثبت خطئي، كما قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴾، وبينما تنطلق منه هذه الحسرات في أسى وحزن إذ قرع سمعَه صوتُ الجبار سبحانه وهو يقول لملائكته: ﴿ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ (٣٠) ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ (٣١) ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾، وما إن يقول الجبّار خذوه حتى يبتدره سبعون ألف ملك، الملك منهم يقول هكذا فيلقى سبعين ألفًا في النار، فيجعلون الأغلال في عنقه، ثم يسلكونه في سلسلة ذرعها سبعون ذراعًا- وكان ذراعٌ واحدٌ يكفيه- فتسلك في دبره حتى تخرج من منخريه، حتى لا يقوم على رجليه، أجارنا الله وإخواننا المسلمين.

وللحديث بقية بإذن الله.




الحمد لله حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه كما يحب ربنا ويرضى ، والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على نبي الهدى والرحمة محمد بن عبد الله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا . وبعد :

فعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال يوم الفتح : «لا هجرة بعد الفتح ، ولكن جهاد ونية ، وإذا استنفرتم فانفروا».

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه من حديث ابن عباس في كتاب الجهاد باب فضل الجهاد والسير برقم ٢٧٨٣، وفي باب وجوب النفير وما يجب من الجهاد والنية برقم ٢٨٢٥، وفي باب «لا هجرة بعد الفتح» برقم ٣٠٧٧، وأخرجه عن ابن عمر موقوفًا عليه في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم ٣٨٩٩، وفي كتاب المغازي برقم ٤٣٠٩، ٤٣١٠، ٤٣١١، وأخرجه أيضًا من قول عائشة موقوفًا عليها في كتاب فضائل أصحاب النبي ﷺ باب هجرة النبي ﷺ وأصحابه إلى المدينة برقم ٣٩٠٠، وفي كتاب المغازي برقم ٤٣١٢، كما أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الإمارة باب المبايعة بعد فتح مكة على الإسلام والجهاد والخير وبيان معنى لا هجرة بعد الفتح ، من حديث ابن عباس رضي الله عنهما برقم ٨٥ ومن حديث عائشة رضي الله عنها برقم ٨٦، وأخرج بمعناه حديث مجاشع بن مسعود السلمي .

وأخرجه أيضًا الترمذي في أبواب السِّيَر باب «ما جاء في الهجرة» من حديث ابن عباس برقم ١٥٩٠ قال : وفي الباب عن أبي سعيد وعبد الله بن عمرو وعبد الله بن حُبْشي . وأخرجه النسائي في كتاب البيعة باب «ذكر الاختلاف في انقطاع الهجرة من حديث يعلى بن أمية برقم ٤١٧٣، وعن يعلى بن أمية برقم ٤١٧٤، وعن صفوان بن أمية برقم ٤١٧٤، وعن ابن عباس برقم ٤١٧٥، وعن عمر بن الخطاب برقم ٤١٧٦، وأخرجه ابن ماجه في كتاب الكفارات باب إبرار المقسم عن عبد الرحمن بن صفوان أو صفوان بن عبد الرحمن القرشي بمعناه .

## شرح الحديث

قوله ﷺ : «لا هجرة بعد الفتح» أي : فتح مكة ، قال الإمام الخطابي عقب هذا الحديث : كانت الهجرة على معنيين، أحدهما: أن الآحاد من القبائل كانوا إذا أسلموا، وأقاموا في ديارهم بين ظهراني قومهم أوذوا وفتنوا ، فأمروا بالهجرة ليسلم لهم دينهم ويزول الأذى عنهم ، والمعنى الآخر : أن أهل الدين بالمدينة كانوا في قلة من العدد ، وضعف من القوة

# الأمس واليوم

إعداد/ زكريا حسيني

فكان الواجب على من أسلم من الأعراب وأهل القرى أن يهاجروا فيكونوا بحضرة الرسول ﷺ إن حدث حادث وحزب أمر استعان بهم في ذلك، وليتفقهوا في الدين فيرجعوا إلى قومهم فيعلموهم أمر الدين والأحكام، فلما فتحت مكة استغنوا عن ذلك، إذ كان معظم الخوف على المسلمين من أهل مكة، فلما أسلموا أمن المسلمون أن يُغْزَوْا في عقر دارهم فقيل لهم: أقيموا في أوطانكم وقَرُّوا على نية الجهاد، فإن فرضه غير منقطع مدى الدهر، فكونوا مستعدين لتنفروا إذا استنفرتم، وتجيبوا إذا دعيتم. اهـ

[أعلام الحديث (ج٢ ص١٣٥٤)]

وقال الحافظ ابن حجر بعد أن نقل ملخص كلام الخطابي وغيره: وكانت الحكمة أيضًا في وجوب الهجرة على من أسلم ليسلم من أذى ذويه من الكفار فإنهم كانوا يعذبون من أسلم منهم حتى يرجع عن دينه، وفيهم نزلت الآية: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٧].

وهذه الهجرة باقية الحكم في حق من أسلم في دار الكفر وقدر على الخروج منها، وقد روى النسائي من طريق بهز بن حكيم بن معاوية عن أبيه عن جده مرفوعًا: «لا يقبل الله من مشرك عملاً بعدما أسلم أو يفارق المشركين»،

ولأبي داود من حديث سمرة مرفوعًا: «أنا بريء من كل مسلم يقيم بين أظهر المشركين». وهذا محمول على من لم يأمن على دينه.

قوله ﷺ: «ولكن جهاد ونية» نقل ابن حجر رحمه الله قول الطيبي وغيره في هذا فقال: هذا الاستدراك يقتضي مخالفة حكم ما بعده لما قبله، والمعنى: أن الهجرة التي هي مفارقة الوطن التي كانت مطلوبة على الأعيان إلى المدينة انقطعت إلا أن المفارقة بسبب الجهاد باقية، وكذلك المفارقة بسبب نية صالحة كالفرار من دار الكفر، والخروج في طلب العلم، والفرار بالدين من الفتن، والنية مطلوبة في جميع ذلك.

ولقد وضحت ذلك عائشة رضي الله عنها فيما روى عنها عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير الليثي، فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمنون يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، واليوم يعبد ربه حيث شاء ولكن جهاد ونية. [البخاري: ح٣٩٠٠].

قال الحافظ تعليقًا على قول عائشة رضي الله عنها: كان المؤمنون يفر أحدهم...»:

لا يتورّع أعداء الإسلام الذين يهاجر إليهم عن الإفصاح بتبجح عن تدخلهم في تغيير هوية المسلمين وضرب المناهج الإسلامية وتمييع الشريعة حتى يتسنى لهم القضاء على الإسلام وأهله!!

أشارت عائشة رضي الله عنها إلى بيان مشروعية الهجرة وأن سببها خوف الفتنة ، والحكم يدور مع علته ، فمقتضاه أن من قدر على عبادة الله في أي موضع اتفق لم تجب عليه الهجرة منه وإلا وجبت ، ومن ثم قال الماوردي: إذا قدر على إظهار الدين في بلد من بلاد الكفار فقد صارت البلد به دار إسلام ، فالإقامة فيها أفضل من الرحلة منها لما يترجى من دخول غيره في الإسلام .

هذا ، وقد أخرج النسائي عن عبد الله بن وقدان السعدي قال : قلت : يا رسول الله متى تنقطع الهجرة ؟ قال : «لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار». [ح ٤١٧٧، ٤١٧٨]. قال ابن حجر في الجمع بين حديث ابن عباس وابن عمر وعائشة وغيرهم وبين حديث ابن السعدي : كانت الهجرة إلى النبي ﷺ بعدما هاجر إلى المدينة مفترضة ، وقد أكد الله تعالى ذلك حتى قطع الموالاة بين من هاجر ومن لم يهاجر فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَايَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا ﴾، فلما فتحت مكة ودخل الناس في دين الله من جميع القبائل سقطت الهجرة الواجبة وبقي الاستحباب ، وقال البغوي في «شرح السنة»: يحتمل الجمع بينهما بطريق أخرى بقوله : «لا هجرة بعد الفتح» أي : من مكة إلى المدينة ، وقوله : «لا تنقطع» أي : من دار الكفر إلى دار الإسلام في حق من أسلم ، قال -أي البغوي -: ويحتمل وجهًا آخر وهو قوله : «لا هجرة» أي إلى النبي ﷺ ، حيث كان بنية عدم الرجوع إلى الوطن المهاجر منه إلا بإذن، وقوله : «لا تنقطع» أي : هجرة من هاجر على غير هذا الوصف من الأعراب ونحوهم .

قلت - القائل ابن حجر -: الذي يظهر أن المراد بالشق الأول وهو المنفي ما ذكره في الاحتمال الأخير ، والشق الآخر المثبت ما ذكره في الاحتمال الذي قبله ، وقد أفصح ابن عمر فيما أخرجه الإسماعيلي بلفظ : «انقطعت الهجرة بعد الفتح إلى رسول الله ﷺ ، ولا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار» أي : ما دام في الدنيا دار كفر ، فالهجرة واجبة منها على من أسلم وخشي أن يفتن عن دينه .

وبعد : فما شرعية الهجرة في زماننا هذا؟

لقد هاجر أناس من بلاد المسلمين إلى بلاد الكفر - والله أعلم بأسباب هجرتهم - فعاشوا في تلك البلاد وكونوا ثروات وطاب لهم العيش فيها فانمسخت شخصياتهم ونسوا دينهم ونشأ أولادهم على أخلاق تلك البلاد وعاداتهم فتربوا على غير دين الإسلام ، وجاء بعضهم وقد أرسلهم آباؤهم -ربما - ليتعلموا الإسلام في البلاد الإسلامية العربية ، فرأيناهم لا يعرفون لغة ولا دينًا ، بل جاء بعضهم غير مختون وقد بلغ العشرين من عمره أو نحوها ، فإذا تكلم معه بعض أساتذته ومدرسيه بكى وقال : لا تسألونا عن الإسلام ولا تعاملونا على أننا مسلمون فإننا لا نعرف شيئًا عن الإسلام إلا اسمه ، ولم يتحمل أكثرهم الحياة في ظل الإسلام وتعاليمه وعاد إلى بلاده التي جاء منها ليحيا حياة بعيدة عن الإسلام، وهذا ما جناه عليهم آباؤهم ، وإنا لله وإنا إليه راجعون .

**الذين يقيسون هجرتهم على هجرة المستضعفين من مكة إلى الحبشة قياسهم فاسد لأن هجرتهم الآن عند رموز الظلم والكفر في العالم، وعند من يذيق المسلمين في بلاد المسلمين العذاب ألوانًا**

وهاجر فريق آخر من الشباب، فعاشوا وسط الرذيلة ، ورأوا بأعينهم الفواحش فاستمرءوا رؤيتها ، ولم يتمعر وجه الواحد منهم عندما ترتكب المحارم علانية في الشوارع وفي الأماكن العامة ، وربما تشدق بعضهم بأنه يعيش حياة حرة كريمة ، والحرية الواقعة هناك إنما هي حرية الكفر والفسق والمعاصي والمجون.

وهاجر فريق ثالث ممن شعروا بأنهم مضطهدون في بلاد الإسلام وذلك لانحراف أفكارهم وغلوهم في تكفير المسلمين جانحين في ذلك إلى منهج الخوارج ، منزلين نصوص الوعيد على عامة المسلمين ضاربين عرض الحائط بنصوص الوعد والتوبة وعفو الله تعالى ومغفرته ، وإنك لتعجب إذا علمت وسمعت عن بعض النماذج التي لقيها بعض الدعاة في الخارج ورأينا بعضًا من تلك النماذج في مدينة رسول الله ﷺ في الجامعة الإسلامية ، حيث أن آباءهم يعيشون في أمريكا حاملين الجنسية الأمريكية ويصرح أحدهم بأنه لا يمكن أن يحمل معه زوجه وأولاده لأنه لا يرضى لهم أن يعيشوا الحياة التي يعيشها هو هناك ، ويفصح بأنه يريد أن يتربى أولاده في بلاده تربية إسلامية .

إذن فما الذي حملك على الهجرة إلى هناك؟

وآخر يعيش في دولة أوربية ، جاء ليدرس في الجامعة الإسلامية بالمدينة، وعندما كان يسمع الأذان ينبعث من بيوت الله ، مساجد المدينة حول الجامعة من جهات متعددة ، فإذا به يبكي ويقول: نحن محرومون من سماع الأذان هناك، وإذا سألته: أين تصلون ؟ وكيف تصلون ؟ أجاب: إنهم يصلون في بعض البيوت دون أن يظهر لهم صوت ، ويحجر عليهم أن يسمع أحدٌ لهم صوتًا . فيا للعجب لهؤلاء.

ثم بعد ذلك تسمع من بعضهم من يقيس هذه الهجرة على هجرة المستضعفين من مكة إلى الحبشة ، فإنهم أولاً : هاجروا بأمر النبي ﷺ ، وثانيًا هاجروا عند ملك وصف بأنه لا يظلم عنده أحد ، وأما هؤلاء فبأمر مَنْ هاجروا؟ وعند من هاجروا؟ أعند من لا يظلم عنده أحد؟ بلْ عند رمز الظلم والكفر في العالم ، عند الذي يذيق المسلمين في بلاد المسلمين العذاب ألوانًا ويعمل ليلاً ونهارًا لا يهدأ له بال على سفك دماء المسلمين من جانب كلما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، ومن جانب آخر يفصح عن تدخله في تغيير هوية المسلمين وضرب المناهج الإسلامية ، وتمييع الشريعة حتى يتسنى له القضاء على الإسلام وأهل الإسلام.

وعلى ذلك فإنه تُشرع الهجرة من بلاد الكفر لمن أسلم من أهلها إلى بلاد المسلمين، إذا لم يتمكن من إقامة شعائر دينه.

نعوذ بالله تعالى من الخذلان ، ونسأله تعالى أن يحفظ علينا ديننا ، وأن يصلح بلادنا وولاة أمورنا ، وأن يوفق علماء المسلمين إلى تبصير المسلمين بالحق ، وأن يرزقنا وجميع المسلمين العلم النافع والعمل الصالح ، وأن يهيء لنا من أمرنا رشدًا ، وأن يبرم لأمة الإسلام أمر رشد يعز فيه أهل الإسلام وأهل الطاعة ، ويذل فيه أهل الكفر والفسوق والعصيان ، وأن يهدي ضال المسلمين ، وأن يوحد بين صفوفنا على الحق.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

# تفسير
## من روائع الماضي

*الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:*

*فالقرآن الكريم: هو كلام الله تعالى المنزل على أشرف خلقه، وخاتم رسله محمد ﷺ لهداية الناس، وإرشادهم في كل زمن إلى ما به صلاح دنياهم في جميع شئونها، وصلاح دينهم وآخرتهم.*

والقول في تفسير هذا القرآن ليس بالأمر الهين الذي يستطيعه كل أحد، ويقدر عليه كل من عرف القراءة والكتابة، لأنه كلام الله العلي الأعلى الذي أعجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيرًا، ولكن قد تفضل الله بتيسيره للمتدبرين، والمتفقهين ليزكوا به نفوسهم ويطهروا بالفقه فيه أرواحهم وأخلاقهم، قال تعالى في غير آية: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

والقرآن مائدة الله التي مدها لعباده، وحديقته التي زينها بمختلف الفواكه والزهور والرياحين وفتح أبوابها لكل طالب، ويسر النفع بها لكل راغب، فمن دخل تلك الحديقة، وجلس على هذه المائدة لا بد أن ينال حظًا من طعامها وثمارها، أو من روحها وشذي طيبها، وهم في ذلك على قدر جهدهم وعلى تفاوت صدقهم وحرصهم، فمنهم البحر الخضم، ومنهم النهر، ومنهم النهير، ومنهم الجدول، ومنهم دون ذلك: ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ والكل متى صلحت نيته وخلص مقصده لله، وسلك السبيل في يقين بالحاجة إلى هذه المائدة والحديقة، حاجة لا غنى له عنها، ولا يجدها إلا في هذه المائدة والحديقة، ومن كان كذلك، وسلك السبيل، فلا بد أن يصل إلى بغيته وينتهي إلى طلبته، ويجد غذاء قلبه وروحه على قدر طاقته، وعلى سعة واديه، فلا يدعن أحد شياطين الأنس والجن تلعب بعقله، وتزيغ به عن القرآن وتخدعه عنه وعن هدايته، باسم النصيحة له، والإجلال للقرآن والإعظام لشأنه أن تناله أفهام العامي أو تدرك مقاصده عقول البسطاء، أو تعرف مراد الله منه طبقة الأميين، وأنه لا تفهم آياته غير عقول العلماء المتبحرين من السابقين، إن ذلك من خدع شياطين الإنس والجن يصدون الناس بها عن معرفة حقيقة دينهم، ويحولون بها بين القلوب وغذائها النافع وريها الطيب من ماء القرآن العذب وفواكهه الكثيرة التي أدنى الله لكل مسلم من جناها ما يستغني به عن كل غذاء؛ وقرب موردها لكل وارد حتى لا يجد له يوم القيامة عذرًا ينفع، ولا حجة تدفع عنه عذاب المعرضين عن ذكر الله الذين أطاعوا سادتهم وكبراءهم فأضلوهم السبيل.

وليس القصد من هذا والغرض منه أن يكون كتاب الله مهزلة يعبث به كل جاهل، وملعبة يقول فيه كل أحد برأيه، ويؤوله

# القرآن الكريم

لفضيلة الشيخ
محمد حامد الفقي
رحمه الله

بهواه، ويتكلم في تفسيره بجهله، فيحرف القول عن موضعه بما يبطل حدوده ويقضي على آياته، ويزعم أنه يفسر القرآن بالقرآن ويرشد منه إلى الهداية والعرفان، كلا ثم كلا، إنما نقصد بقولنا: إن العامي يقرأ ليفهم، لا ليتبرك بتكرير الألفاظ، ويقرأ القرآن كما يقرأ كتابًا يجيئه من عظيم يأمره ويرشده ويتدبره ويعود نفسه التدبر ويمرنها على الفهم وذوق كلام الله تعالى، فإنه إذا قرأ كذلك فتح الله له من آيات أصول الإسلام في توحيد الآلهية والعبادة، وتوحيد الربوبية والأسماء والصفات والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، ما لا يجد مثله في كتاب آخر، وينتفع من ذلك بما لا ينتفع بمثله ولا ببعضه من أي كتاب آخر، وما لا يغني عنه أي كتاب غير القرآن، فإن لقي في سبيله عقبة، فلا يحاول إغفالها والإغضاء عنها، بل يعمل على تذليلها بالرجوع إلى قول الرسول ﷺ وقول الصحابة والسلف الصالح رضي الله عنهم، فإن لم يقدر على ذلك بنفسه فليستعن بمن تطمئن نفسه إليه من أهل العلم الذين هم أوسع منه إطلاعًا، وأكثر منه إدراكًا لمراد الله تعالى، وإلمامًا بسنة الرسول ﷺ وأقوال السلف الصالح والعلماء المحققين، فإن اختلف عليه قول العلماء في ذلك فليفزع إلى الله معلم إبراهيم عليه السلام وليدع بما كان يدعو به الرسول ﷺ: «اللهم رب جبريل وميكائيل، فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، أهدني لما اختلفت فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم». فإنه إن شاء الله مهتد إلى الحق بتوفيق الله وهدايته، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

وليعلم كل من ينصح لنفسه، ويريد لها الخير- أن الله أنزل القرآن هداية عامة، لكل أحد موردًا عذبًا لكل مسلم، وأن الله لم يخص به طبقة دون طبقة، ولا عالمًا دون عامي، ولا أهل زمن دون غيرهم، ولا الماضين دون اللاحقين، فإنه حجة الله الباقية على مدى الدهور والأيام، وهو الكتاب المبين الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد، وهو الذي لا تزيغ به الأهواء، ولا تلتبس به الألسن، ولا تنقضي عجائبه، ولا تشبع منه نفوس المؤمنين وقلوبهم، وهو الذي سيسأل عنه كل أحد في أول مرحلة من مراحل الآخرة- القبر- وما بعدها لا يستثني الله من ذلك السؤال عاميًا ولا غير عامي، ولا ينفع عنده جوابًا عن هذا السؤال في أي موقف من مواقف الآخرة ولا مرحلة من مراحلها، أن يقول: كنت عاميًا لا أعرف، أو أميًا لا أقرأ، فقلدت غيري، وسمعت الناس يقولون فقلت مثل ما قالوا. فخذ حذرك، واستعد للجواب، يوم لا تغني نفس عن نفس شيئًا ولا يقبل منها عدل ولا تنفعها شفاعة ولا هم ينصرون.

وخير ما يفسر القرآن:

القرآن، فإنك تقرأ الآية من السورة، فيخفى عليك معناها، فإذا جئت السورة الأخرى، وجدتها بأسلوب أوضح، ولفظ أبسط، وكذا تجد القرآن يقص القصص بألوان متعددة، ويسوق العبر في صور شتى، ويبين السنن الإلهية في عبارات متشابهة؛ وذلك قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ﴾.

والذوق القرآني العلمي لا يكون مع الإعراض عن التلاوة، ثم تأخذ المصحف وتطلب الآية الواحدة ثم تحاول فهمها، كلا، إن الذوق القرآني إنما ينعم به من اتخذ القرآن له خليلاً وصاحبًا ورفيقًا في قيامه وقعوده ومضجعه، وليله ونهاره وشأنه كله مع الإيمان به، والاتباع لأوامره والوقوف عند حدوده جهد الاستطاعة، ذلك هو الذي يكسب ذوق القرآن، ويفقه في القرآن، وييسر الله به تدبر القرآن، ويفتح الله به مغلق القلوب، ويبصرها بنور القرآن.

والله تعالى قد يقصد إلى معنى من المعاني أو حكم من الأحكام لكنه ينزله في عدة آيات مملوءة بالمواعظ والتخويف والتبشير والترغيب والترهيب، فيكون هذا المعنى أو الحكم لا يفهم على حقيقته إلا بهذه الآية أو الآيات مجتمعة، وبهذا النظم المحكم، فإذا أنت قطعت أوصال هذه الآيات، وفرقت أولئك الأخوات ثم حاولت الوصول إلى هذا المعنى أو الحكم بعد ذلك، فأنت غير مستطيع ولا واصل، وإذا وصلت إلى شيء فإنما وصلت إلى معنى مشوه أو حكم محرف؛ لأنك سلكت غير السبيل، وأخذت في غير المنهج، وعدوت على آيات الله فمزقت شملها.

ومن هنا نجد كثيرًا من المتكلمين في القرآن وتفسيره يحيد بهم هذا العدوان عن قصد السبيل، ويأخذ بهم هذا الطريق المعوج إلى معاني تنفر منها النفوس الطيبة، وتمجها الأذواق القرآنية السليمة.

والقرآن لم ينزله الله ليكون تابعًا لمذهب فلان أو رأي فلان، وإنما أنزله مهيمنًا على كل كتاب سبق نزوله من عند الله، وعلى كل كتاب يحدثه أحد من الناس بعد القرآن، فالقرآن حاكم غير محكوم عليه، والقرآن حجة، ولا حجة عليه، والقرآن إمام ولا إمام قبله، بل كل أحد فيجب أن يكون مؤتمًا بالقرآن في قوله وهديه وعمله.

فإذا ما عكست الحقائق، وقلبت الأوضاع وجعلت القرآن تابعًا لمذهبك، فلا مناص لك من أن تحرفه، أو تؤوله تأويلاً هو إلى التحريف أقرب منه إلى التفسير، وقد جنى كثير من أتباع المذاهب الكلامية والفروعية على هذا القرآن والسنة أعظم جناية، بمحاولتهم لتلك الأغراض الفاسدة إذ حكمت عليهم قواعدهم التي زعموها حقائق ثابتة، وبراهين قطعية، بأن يردوا كثيرًا من آيات القرآن؛ أو يعزلوها عن وظيفتها العربية من الفهم والأفهام، والدلالة على المعنى الذي أنزلها الله دالة عليه، وجرّ تحريفهم هذا- الذي زعموه تفسيرًا- إلى بلاء عظيم وفساد في الأمة كبير، وصدق الله إذ قال: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ﴾.

والحمد لله رب العالمين

# من دلائل النبوة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:

إعداد/ أسامة سليمان

## ثانيًا: دعوة الرسل

إن المتأمل في دعوة الرسل، يجد أن ما جاءوا به يدل على صدقهم، فقد جاءوا بمنهج متكامل لإصلاح الإنسان، ولإصلاح المجتمع الإنساني، ولا يتعارض مع فطرة الإنسان وسنن الكون فضلاً عن القيم التي ينادون بها والمقاصد التي يدعون إليها، يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢]، ويقول جل شأنه: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

ولقد أودع الله عز وجل في العقل البشري خاصية إدراك الحسن والقبح، ومع هذا فإن رحمته سبحانه اقتضت ألا يعذب أحدًا ما لم يقم عليه الحجة بإرسال الرسل، يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً﴾.

وعندما سُئل أعرابي: بم عرفت أن محمدًا رسول الله؟ فقال: ما أمر بشيء فقال العقل: ليته نهى عنه، ولا نهى عن شيء فقال العقل: ليته أمر به.

والناظر في دعوة نبينا محمد ﷺ يجد أن صدقه ﷺ بيّن واضح لا ينكره إلا مكابر، يقول سبحانه: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلاَ تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨]، فالنبي الأمي الذي لم يمسك القلم بيده قبل البعثة ولم يقرأ قبل ذلك قط، يتحول إلى معلم للبشرية، يعلمهم الكتاب والحكمة ويقوّم علوم السابقين وما فيها من تحريف وتبديل، يقول سبحانه: ﴿فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ [الأنعام: ٣٣]، إن سفاهتهم دفعتهم إلى القول أن حدادًا روميًا كان بمكة علمه ولقنه، يقول سبحانه ردًا على هذه الفرية المضحكة: ﴿لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ﴾ [النحل: ١٠٣].

## ثالثًا: تأييد الله لرسله ونصرته لهم:

ومما يبين صدق الأنبياء والرسل نصرة الله لهم وتأييده إيّاهم، فإنه من المحال أن يدعي بشر أنه مرسل من عند الله عز وجل وهو يكذب في دعواه، ثم يؤيده الله وينصره ويرسل الملائكة لنصره وتثبيته وحمايته، ولا يعذبه ويوقع به أشد العقاب ويهتك ستره ويفضح أمره ويجعله عبرة لغيره، كما كان في حال مسيلمة الكذاب والأسود العنسي والدجال، وفي هذا يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ﴾ [النحل: ١١٦]، ويقول سبحانه: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ (٤٤) لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ (٤٥) ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٦].

## رابعًا: النظر في حال الأنبياء

إن الرسل والأنبياء كانوا يخالطون أقوامهم ويجالسونهم ويباشرونهم، وبذلك كان من اليسير عليهم أن يحكموا على شخصياتهم بالصدق أو الكذب لأن المرء لا يستطيع أن يخدع الناس كل الوقت، لا سيما من يعيش معه ويخالطه ويتسنى له الحكم عليه، لقد كان المشركون يسمون النبي صلى الله عليه وسلم الصادق الأمين قبل بعثته، بل كانت ودائعهم عنده لأمانته، وقالوا له: ما جربنا عليك كذبًا عندما سألهم لو أخبرتكم أن خيلاً خلف هذا الوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ وفي هذا الشأن يقول الله سبحانه: ﴿قُل لَّوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُم بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: ١٦]، ونجد ذلك في إسلام الصديق وخديجة رضي الله عنهما؛ لأن صدقه لا يحتاج إلى دليل بالنسبة لهما فسيرته وحياته هي أعظم دليل على ذلك، وتبين خديجة رضي الله عنها مقومات تلك الشخصية قبل البعثة فتقول له: «إنك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقري

الضيف وتعين على نوائب الحق».

وإعمال العقل والفكر في بيان صفات الرسل وفي بيان كمالهم الخلقي يتضح من موقف هرقل ملك الروم، ولكنه ضن بملكه مع قوله في حق النبي ﷺ: إنه سيملك موضع قدمي هاتين، وقد كنت أعلم أنه خارج، ولم أكن أظن أنه منكم، فلو أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت قدمه.

[البخاري في بدء الوحي]

وزهد الرسل في متاع الحياة الدنيا وعرضها الزائل، دليل على صدقهم فهم لا يسألون الناس أجرًا: ﴿يَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى اللَّهِ﴾ [هود: ٢٩]، ويقول سبحانه: ﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاَّ مَن شَاءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً﴾ [الفرقان: ٥٧]، ويقول جل شأنه: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلاَّ عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

## خامسًا: بشارات الأمم السابقة

فمن الآيات الواضحات على صدق النبي ﷺ أنه في زبر الأولين، يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾، ويقول جل شأنه: ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٨٧]، ولقد أخذ الله الميثاق على الأنبياء السابقين لئن بعث النبي محمد ﷺ في حياتهم ليؤمنن به ولينصرنه ومفهوم ذلك أن النبي ﷺ ذكر عند السابقين في كتبهم بقوله سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١].

ولقد دعى خليل الرحمن إبراهيم ربه وهو يرفع قواعد البيت ببعثة النبي ﷺ فاستجاب الله لدعائه، ولا تزال التوارة رغم تحريفها تحمل تلك الإجابة، ففي سفر التكوين الأصحاح السابع عشر فقرة (٢٠):

«وأما إسماعيل فقد سمعت لك فيه، ها أنا أباركه وأثمره وأكثره كثيرًا جدًا، اثنى عشر رئيسًا يلد، واجعله أمة عظيمة كثيرة».

والأمة العظيمة هي الأمة الإسلامية التي وجدت من نسل إسماعيل عليه السلام، وقوله: اثنى عشر رئيسًا يلد هذا يوافق إخبار النبي ﷺ أنه سيلي أمر هذه الأمة اثنا عشر خليفة كلهم من قريش، وفي سفر التكوين الاصحاح (١٨) فقرة (١٨- ١٩): قال الله لموسى: أقيم لهم- أي لبني إسرائيل نبيًا من وسط إخوتهم مثلك واجعل كلامي في فمه، فيكلمهم بكل ما أوحيه به فيكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالب.

ونبينا ﷺ من بني إسماعيل إخوة بني إسرائيل بعدهم إسحاق ثم هو من أوسط العرب نسبًا، وكلامه في فمه يعني أنه أمي لا يقرأ ولا يكتب وهو مبعوث إلى الناس كافة.

وحول هذا المعنى يقول سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

ومن أسمائه ﷺ أحمد، ففي حديث مسلم: «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب». وعيسى عليه السلام بشر قومه برسول يأتي من بعده اسمه أحمد، يقول سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾.

والحمد لله رب العالمين

## مشروع تيسير حفظ السنة

# درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

## ألف حديث كل ثلاث سنوات

**الحلقة الثالثة عشرة** **إعداد/ علي حشيش**

*في مشروع حفظ السنة «درر البحار من صحيح الأحاديث القصار» وعلى مدار العام الماضي تم نشر ٣٦٠ حديثًا.*

*وفي هذا العام نواصل نشر المرحلة الثانية من الأحاديث، وعلى مدار ثلاث سنوات بمشيئة الله نكون قد وصلنا للمرحلة الألفية وهي ألف وثمانون حديثًا مرتبة حسب درجات الصحة بدءًا من المتفق عليه.*

٣٦١ - «لا تَكْذِبُوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ فَلْيَلِجِ[1] النَّارَ». [متفق عليه من حديث علي]

٣٦٢ - «إِنَّ كَذِبًا عَلَيَّ لَيْسَ كَكَذِبٍ عَلَى أَحَدٍ، مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ[2] مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ». [متفق عليه من حديث المغيرة]

٣٦٣ - «أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَقُولُوا لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، فَمَنْ قَالَ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي نَفْسَهُ وَمَا لَهُ إِلا بِحَقِّهِ وَحِسَابُهُ عَلَى اللَّهِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٦٤ - أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّي دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ إِلا بِحَقِّ الإِسْلامِ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٣٦٥ - «الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً[3]، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الإِيمَانِ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٦٦ - «إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَرَّ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَهُوَ يَعِظُ أَخَاهُ فِي الْحَيَاءِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «دَعْهُ فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الإِيمَانِ». [متفق عليه من حديث ابن عمر]

٣٦٧ - «مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلا يُؤْذِ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٦٨ - عَنْ جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَلَقَّنَنِي «فِيمَا اسْتَطَعْتَ» وَالنُّصْحِ لِكُلِّ مُسْلِمٍ». [متفق عليه من حديث جرير بن عبد الله]

٣٦٩ - أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ[4]». [متفق عليه من حديث عبد الله بن عمرو]

٣٧٠ - «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، أَضْعَفُ قُلُوبًا، وَأَرَقُّ أَفْئِدَةً، الْفِقْهُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٧١ - «مَنْ شَهِدَ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ عِيسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، أَدْخَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَمَلِ».
وَزَادَ أحد رجال السند «من أَبْوَابِ الْجَنَّةِ الثَّمَانِيَةِ أَيِّهَا شَاءَ». [متفق عليه من حديث عبادة]

٣٧٢ - «مَنْ حَمَلَ عَلَيْنَا السِّلاحَ فَلَيْسَ مِنَّا[5]». [متفق عليه من حديث أبي موسى]

٣٧٣ - «إِذَا أَحْسَنَ أَحَدُكُمْ إِسْلامَهُ فَكُلُّ حَسَنَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، إِلَى سَبْعِمِائَةِ ضِعْفٍ وَكُلُّ سَيِّئَةٍ يَعْمَلُهَا تُكْتَبُ لَهُ بِمِثْلِهَا». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٧٤ - «كَيْفَ أَنْتُمْ إِذَا نَزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ فِيكُمْ وَإِمَامُكُمْ مِنْكُمْ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٧٥ - «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزِلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ وَيَضَعَ الجِزْيَةَ، ويَفِيضَ المَالُ حَتَّى لا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٧٦ - عَنِ العَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ المُطَّلِبِ قال لِلنَّبِيِّ ﷺ، مَا أَغْنَيْتَ عَنْ عَمِّكَ فَإِنَّهُ كَانَ يَحُوطُكَ وَيَغْضَبُ لَكَ. قَالَ: «هُوَ فِي ضَحْضَاحٍ[6] مِنْ نَارٍ وَلَوْلا أَنَا لَكَانَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ». [متفق عليه من حديث العباس]

٣٧٧ - عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ وَذُكِرَ عِنْدَهُ عَمُّهُ فَقَالَ: «لَعَلَّهُ تَنْفَعُهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُجْعَلُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنَ النَّارِ يَبْلُغُ كَعْبَيْهِ يَغْلِي مِنْهُ دِمَاغُهُ». [متفق عليه من حديث ابي سعيد]

٣٧٨ - «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ يَشُوصُ[7] فَاهُ بِالسِّوَاكِ». [متفق عليه من حديث حذيفة]

٣٧٩ - «إِذَا رَأَيْتُمُ الجَنَازَةَ فَقُومُوا، فَمَنْ تَبِعَهَا فَلا يَقْعُدْ حَتَّى تُوضَعَ». [متفق عليه من حديث ابي سعيد الخدري]

٣٨٠ - «لا يَبُولَنَّ أَحَدُكُمْ فِي المَاءِ الدَّائِمِ الَّذِي لا يَجْرِي ثُمَّ يَغْتَسِلُ فِيهِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٨١ - «كَانَ النَّبِي ﷺ إِذَا تَبَرَّزَ[8] لِحَاجَتِهِ أَتَيْتُهُ بِمَاءٍ فَيَغْسِلُ بِهِ». [متفق عليه من حديث انس]

٣٨٢ - «إِنَّ أَعْرَابِيًّا بَالَ فِي المَسْجِدِ فَقَامُوا إِلَيْهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لا تُزْرِمُوهُ»[9] ثُمَّ دَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ فَصُبَّ عَلَيْهِ». [متفق عليه من حديث انس]

٣٨٣ - قال النبي ﷺ: بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، بَيْنَ كُلِّ أَذَانَيْنِ صَلاةٌ، ثُمَّ قَالَ فِي الثَّالِثَةِ: «لِمَنْ شَاءَ». [متفق عليه من حديث عبد الله بن مُغَفَّل]

٣٨٤ - «إِذَا قَالَ الإِمَامُ - غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ - فَقُولُوا: آمين، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ قَوْلُهُ قَوْلَ المَلائِكَةِ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٨٥ - «إِذَا قَالَ أَحَدُكُمْ آمِينَ، وَقَالَتْ المَلائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَتْ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٨٦ - عن أبي بَكْرٍ الصِّدِّيق رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لرَسول اللَّهِ ﷺ عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلاتِي. قَالَ: «قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ وَارْحَمْنِي، إِنَّكَ أَنْتَ الغَفُورُ الرَّحِيمُ». [متفق عليه من حديث أبي بكر]

٣٨٧ - «مَا بَيْنَ مِنْكَبَي الكَافِرِ مَسِيرَةُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ لِلرَّاكِبِ المُسْرِعِ». [متفق عليه من حديث ابي هريرة]

٣٨٨ - «إِنَّ رَجُلاً سَأَلَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَى السَّاعَةُ؟ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟» قَالَ: مَا أَعْدَدْتُ لَهَا مِنْ كَثِيرِ صَلاةٍ، وَلا صَوْمٍ، وَلا صَدَقَةٍ، وَلَكِنِّي أُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ. قَالَ: «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ». [متفق عليه من حديث انس]

٣٨٩ - «بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، وَجَدَ غُصْنَ شَوْكٍ عَلَى الطَّرِيقِ، فَأَخَّرَهُ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

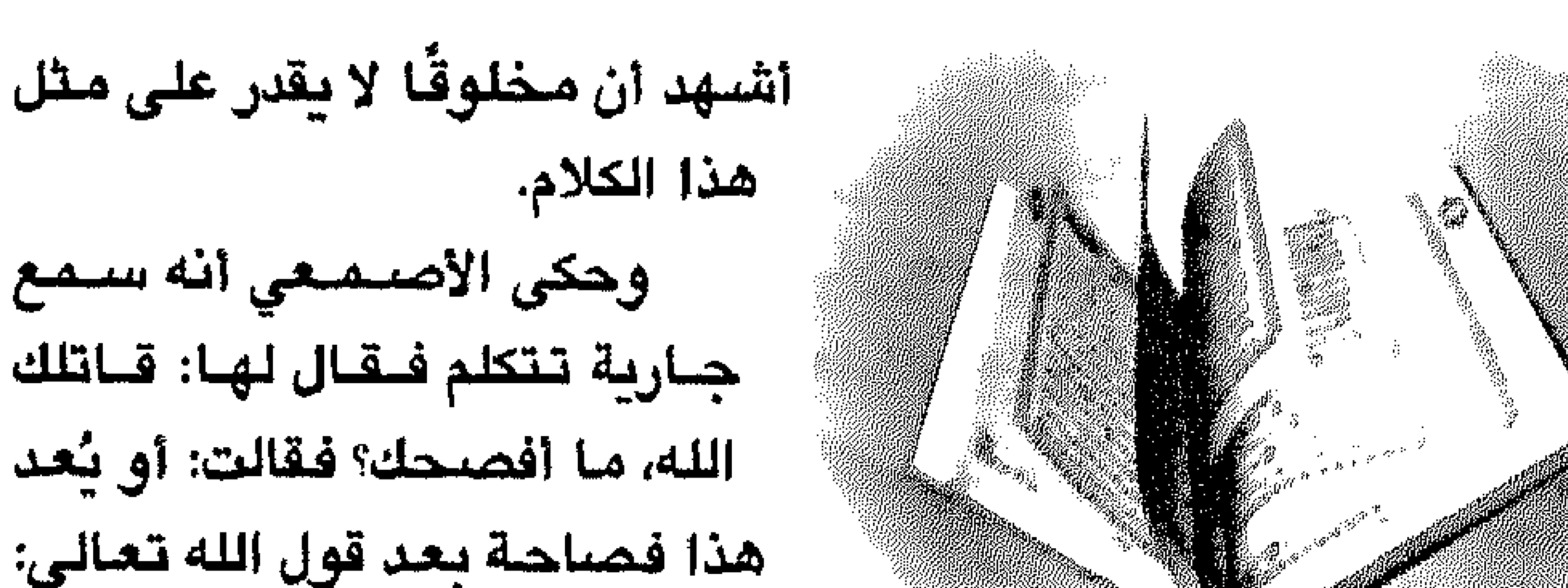
٣٩٠ - «يا عَائِشَةُ هَذَا جِبْرِيلُ يَقْرَأُ عَلَيْكِ السَّلامَ» فَقَالَت: وَعَلَيْهِ السَّلامُ ورَحْمَةُ اللَّهِ وبَرَكَاتُه ترى ما لا نرى - تريد النبي ﷺ ». [متفق عليه من حديث عائشة]

---

**الهوامش:**

(١) فليلج النار: فليدخل النار. (٢) فليتبوا: فليتخذ لنفسه منزلا.
(٣) الشعبة: الطائفة من الشيء. (٤) فَجَر: مال عن الحق وقال الباطل.
(٥) من شروط المتفق عليه: الاتفاق في الراوي الأعلى وأوردناه هنا للاتفاق من حديث ابي موسى، وقد جاء أيضا من حديث ابن عمر وهذا معروف في المصلح تعدد الأحاديث بتعدد المتن والراوي الأعلى واحد والعكس ومثل هذا سننبه عليه إن شاء الله.
(٦) الضحضاح: مارق من الماء على وجه الأرض إلى نحو الكعبين فاستعير للنار. (٧) يشوص: يدلك أو يغسل أو يحك.
(٨) تبرز: خرج إلى البراز وهو اسم للفضاء الواسع فكنوا به عن قضاء الحاجة.
(٩) لا تزرموه: لا تقطعوا عليه بوله.

# وجوه إعجاز القرآن الكريم



إعداد/ مصطفى البصراتي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

## وجوه إعجاز القرآن الكريم

بعد أن أجمع أهل العلم على إعجاز القرآن بذاته، وعلى عدم استطاعة أحد من البشر أن يأتي بمثله، تعددت أقوالهم في وجوه إعجاز هذا الكتاب المبارك.

فمن إعجاز القرآن: حسن تأليفه، وفصاحته، ووجوه إعجازه، وبلاغته الخارقة عادة العرب، وذلك أنهم كانوا أرباب هذا الشأن وفرسان الكلام، قد خُصوا من البلاغة والحِكَم ما لم يُخص به غيرهم من الأمم، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان، جعل الله لهم ذلك طبعًا وخِلْقةً، وفيهم غريزة وقوة، يأتون منه على البديهة بالعجب، وتساجلوا في النظم والنثر، فما راعهم إلا رسول كريم، بكتاب عزيز: ﴿لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

أحكمت آياته وفصلت كلماته، وبهرت بلاغته العقول، وظهرت فصاحته على كل مقول، ولهذا لما سمع الوليد بن المغيرة من النبي ﷺ: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾ [النحل: ٩٠]، قال: والله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة وإن أسفله لمغدق وإن أعلاه لمثمر، وما يقول هذا بشر- وهو تشبيه منه بأنه كشجرة مُثمرة.

وذكر أبو عبيد أن أعرابيًا سمع رجلاً يقرأ: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤]، فسجد وقال: سجدت لفصاحته. وسمع آخر رجلاً يقرأ: ﴿فَلَمَّا اسْتَيْأَسُوا مِنْهُ خَلَصُوا نَجِيًا﴾ [يوسف: ٨٠]. فقال: أشهد أن مخلوقًا لا يقدر على مثل هذا الكلام.

وحكى الأصمعي أنه سمع جارية تتكلم فقال لها: قاتلك الله، ما أفصحك؟ فقالت: أو يُعد هذا فصاحة بعد قول الله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي وَلاَ تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: ٧]، فجمع في آية واحدة بين أمرين، ونهين، وخبرين، وبشارتين.

فهذا نوع من إعجازه، منفرد بذاته، غير مضاف إلى غيره على التحقيق والصحيح من القولين.

وكون القرآن أتى به النبي من عند الله معلوم ضرورة، وكونه ﷺ متحديًا به معلوم ضرورة، وعجز العرب عن الإتيان به معلوم ضرورة، وكونه في فصاحته خارقًا للعادة معلوم ضرورة للعالمين بالفصاحة ووجوه البلاغة.

وإذا تأملت قوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ [البقرة: ١٧٩]، وقوله: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلاَ فَوْتَ وَأُخِذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾ [سبأ: ٥١].

وقوله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت: ٣٤]، وقوله: ﴿فَكُلاً أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُم مَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُم مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُم مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الأَرْضَ وَمِنْهُم مَّنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، وأشباهها من الآي- بل أكثر القرآن- حققت ما بينته من إيجاز ألفاظها وكثرة معانيها وحسن تأليف حروفها، وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة، وفصولاً جمة، وعلومًا زواخر،

ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها.

ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون السوالف التي يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض، كقصة يوسف على طولها، ثم إذا ترددت قصصه اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تُنسي في البيان صاحبتها، ولا نفور للنفوس من ترديدها ولا معاداة لمعادها.

## ومن إعجازه: الإخبار عن السابقين

أخبر القرآن عن الأمم المتقدمة على لسان نبي أميّ لا يعرف الكتابة ولا يقرأ المكتوب كما قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَتَاهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٤٦]، وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ [آل عمران: ٤٤]، وقال تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٢]، إلى قوله: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

وأخبر عن خلق آدم وقصته مع الشيطان وقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر وأصحاب الكهف وذي القرنين ولقمان وابنه وعن بعض أحكام التوراة حتى تحداهم الله بقوله: ﴿قُلْ فَأْتُوا بِالتَّوْرَاةِ فَاتْلُوهَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]، وقال تعالى: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾ [المائدة: ١٥]. بل قد شهد له من هداه الله من أهل الكتاب فقال تعالى: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ﴾ [الأحقاف: ١٠].

يتحداهم ذلك النبي الأمي فلا يستطيعون رد شيء مما يقول كما يقول سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٨].

## ومن إعجازه: الإخبار عن الأمور المستقبلة

إخباره عن أمور مستقبلة وما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات، وما لم يكن ولم يقع فوقعت مطابقة لما أخبر الله به في كتابه.

كقوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾ [الفتح: ٢٧]، وقوله تعالى: ﴿وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٣]، وقوله عز وجل: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقوله جل وعلا: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]، وقوله تعالى: ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ﴾ [النصر: ١] إلى آخرها.

فكان جميع هذا كما أخبر تعالى: فغلبت الروم فارس في بضع سنين، ودخل الناس في دين الإسلام أفواجًا، فما مات ﷺ إلا وقد دخل الإسلام بلاد العرب كلها، واستخلف الله المؤمنين في الأرض ومكن فيها دينهم وملكهم إياها من أقصى المشارق إلى أقصى المغارب كما قال ﷺ: «زويت لي الأرض فأريت مشارقها ومغاربها، وسيبلغ ملك أمتي ما زوي لي منها». رواه مسلم.

ومنه قوله تعالى: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠]، وذلك قبل أن يُفرض القتال لأن السورة مكية.

وقوله تعالى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]، فهزموا يوم بدر، وقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ﴾ [التوبة: ١٤]، وقوله تعالى: ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ﴾ [آل عمران: ١١١]، فكان كل ذلك.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، فكان كذلك، فكم من ملحد وضال ومجرم قد أجمعوا كيدهم وحولهم وقوتهم، فما قدروا على إطفاء شيء من نوره ولا تغيير كلمة من كلامه، ولا تشكيك المسلمين في حرف من حروفه والحمد لله، فإن الله تكفل بحفظه لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد.

وعلى الرغم مما حوته كتب الشيعة الروافض من الطعن في القرآن- ونقلهم عن أئمة أهل البيت كذبًا وافتراءً تغييره بالزيادة والنقصان- وكذلك ما تمخض عن داري نشر أمريكيتين فقذفتا لنا أخيرًا

آيات شيطانية في مصحف مزعوم اسمته: «الفرقان الحق» ويوزع في إحدى الدول العربية على المتفوقين من أبنائنا الطلبة في المدارس الأجنبية الخاصة، يتألف من ٧٧ سورة حرفوا فيه كتاب الله ونشروا فيه الباطل، فإن كل ذلك لم يؤثر في تواتر صحته عند المسلمين شيئًا، بل لم يزدد إلا تعظيمًا وتقديرًا وانتشارًا.

## ومن إعجازه: تأثر المستمع به

تأثر مستمعه به ثابت في نصوص القرآن والسنة، قال سبحانه وتعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، وقال تعالى: ﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى مخبرًا عن تأثر الجن بالقرآن: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، روى البخاري عن ابن عباس قال: «انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب فرجع الشياطين فقالوا: ما لكم؟ فقالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا﴾ [الجن: ١، ٢]، وأنزل الله عز وجل على نبيه ﷺ: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ﴾ [الجن: ١] وإنما أوحى إليه قول الجن.

## تأثر النصارى بالقرآن

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ (٨٣) وَمَا لَنَا لاَ نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَن يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ (٨٤) فَأَثَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٨٣- ٨٤].

وكذلك تأثر كفار قريش به: كما روى البخاري عن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ بَل لاَّ يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧]، كاد قلبي أن يطير.

ولما سمع الوليد بن المغيرة النبي ﷺ وهو يقرأ القرآن رق فجاءه أبو جهل منكرًا عليه، قال: والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار مني، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، وفي خبر الآخرين جمع قريشًا عند حضور الموسم وقال: إن وفود العرب ترد فاجمعوا فيه رأيًا لا يكذب بعضكم بعضًا، فقالوا: نقول: كاهن. قال: والله ما هو بكاهن، ما هو بزمزمته ولا سجعه. قالوا: مجنون. قال: ما هو بمجنون ولا بخنقه ولا وسوسته. قالوا: فنقول: شاعر. قال: ما هو بشاعر، وقد عرفنا الشعر كله، ما هو بشاعر. قالوا: فنقول ساحر. قال: ما هو بساحر، ولا نفثه ولا عقده. قالوا: فما نقول؟ قال: ما أنتم بقائلين من هذا شيئًا إلا وأنا أعرف أنه باطل، وإن أقرب القول أنه ساحر، فإنه سحر يفرق بين المرء وابنه، والمرء وأخيه، والمرء وزوجه، والمرء وعشيرته، فتفرقوا وجلسوا على السبل يحذرون الناس، فأنزل الله تعالى في الوليد: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ [المدثر: ١١]، وقال عتبة بن ربيعة حين سمع القرآن: يا قوم قد علمتم أني لم أترك شيئًا إلا وقد علمته وقرأته وقلته، والله لقد سمعت قولاً، والله ما سمعت مثله قط، ما هو بالشعر ولا بالسحر ولا بالكهانة.

هدانا الله وإياكم إلى صراطه المستقيم، وللحديث بقية إن شاء الله تعالى، والحمد لله رب العالمين.

# صفات الفرقة

منبر الحرمين

الحمد لله علام الغيوب غفار الذنوب، يفرج الكروب ويهدي القلوب، أحمد ربي وأشكره، وأتوب إليه وأستغفره، وأثني عليه الخير كله، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن نبينا وسيدنا محمدًا ﷺ عبده ورسوله، خيرته من خلقه، اللهمّ صلّ وسلّم وبارك على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد: فاتقوا الله أيّها المسلمون، وأطيعوا الله ورسوله لعلكم تفلحون.

عباد الله، إنّ ربكم جلّت عظمته وتقدّست أسماؤه بعث صفيّه محمدًا ﷺ على فترة من الرّسل، وأنزل عليه الكتابَ والحكمة، ودعا إلى ربّه على بصيرة، فعلم الناس من القرآن، وعلموا من السنّة، وفقهوا في دين الله تعالى، وما لحق رسولُ الله بالرّفيق الأعلى حتى ترك أمّته على المنهاج الواضح والصّراط المستقيم، قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام:١٥٣]، وقال النبي ﷺ: «تركتكم على المحجّة البيضاء، ليلُها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك».

فبيّن الله تعالى أصولَ الإيمان وصفاتِ المؤمنين، فقال جلّ ذكره: ﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ [البقرة:١٧٧]. وبيّن الرسولُ مراتبَ الدين في الحديث لمّا سأله جبريلُ عليه الصّلاة والسلام وهي الإسلام والإيمان والإحسان، وسنّ عليه الصلاة والسلام السّنن، وشرع الأحكام، وفصّل الحلال والحرام، وبيّن مسائل العقيدةِ أكملَ بيان، وحقّق عليه الصلاة والسلام مقامات العبودية لربّه، وكفى نبيّنا محمدًا شرفًا وقدرًا ثناءُ الله تعالى عليه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم:٤].

والصّحابة رضي الله عنهم تربيةُ رسول الله ونقلةُ الشريعةِ والمجاهدون في سبيلِ الله، اختارهم الله لصُحبة نبيّه عليه الصلاة والسلام، ووصفهم الربُّ تبارك وتعالى بالإيمان الكاملِ والسّبق إلى الخيراتِ وفعل الصّالحات فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوْا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ [الأنفال:٧٤]، وقال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وأثنى عليهم في قوله: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» [متفق عليه].

فالسّلف الصّالح حقّقوا الحياةَ العمليّة للإسلام، وعملوا بالدين في حياتهم الخاصّةِ والعامّة، وطبّقوه التطبيقَ الكامل، وهم القدوةُ في العمل بتعاليم الإسلام لمن أتى بعدَهم، فكانت سيرتهم منارًا للأجيالِ بعدَهم في العلمِ والعمَل، فمن اتّبع طريقَهم اهتدى وفاز بجنّاتِ النعيم، ومن خالفهم ضلّ وغوى وكان من الخاسرين.

ولما كان السلف رضي الله عنهم أكملَ الناس علمًا وعملاً وأشدّ الناس اقتداءً بالنبيّ رغّب عليه الصلاة والسلام في لزوم ما كان عليه هو وصحابتُه، وأمر بالتمسك بما كانوا عليه من الهدى، وأخبر أنّ الفرقة الناجية عند اختلافِ الأمة هي ما كان عليه الرسول وأصحابه، فقال: «افترقتِ اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وافترقتِ النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وستفترق هذه الأمّة على ثلاثٍ وسبعين فرقة، كلّها في النار إلا واحدة»، قيل: من هي يا رسول الله؟ قال: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي». وقوله: «كلّها في النار» هذا من الوعيدِ المعلوم تفسيرُه عند السلف، وهذه الزيادةُ وهي قوله: «من كان على مثل ما أنا عليه وأصحابي» رواها الآجري من طرق، ومعناها لا شكّ في صحّته.

وقد وقع ما أخبرَ به النبيّ من الاختلاف والفُرقة، ولكنّنا كُلّفنا بالاعتصام بالكتاب والسنّة ونبذ الخلاف والفُرقة، وأُمرنا أنْ نكونَ من الفرقة الناجية التي علمت الحقّ وعملت به، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة:١١٩].

وكلُّ فرقة منَ الفرق الإسلاميّة تزعم أنها على الحقّ وغيرها على الباطل، ولكن ليس للدّعاوى وزنٌ عند الله ما لم يكن لها بيّناتٌ من العلم النافع والعمل الصّالح، وقد بيّن الله تعالى في كتابه صفاتِ هذه الفرقةِ الناجية، وجلّى أمرها رسولُ الله؛ ليكونَ

# الناجية

لفضيلة الشيخ
علي عبد الرحمن الحذيفي
خطيب المسجد النبوي

المسلم على بصيرة من دينه وعلى نور من ربّه، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ﴾ [النور:٤٠].

• فمن صفات هذه الفرقة الناجية الاتباعُ بإحسان لسلف الأمّة السابقين رضي الله عنهم، قال الله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠].

والاتباعُ هو الاقتداء بهم في توحيدِ العبادة لله تعالى بإفرادِ الدعاء لله وحدَه وإفرادِ الاستعانة والاستغاثة بالله وحدَه والاستعاذة، فلا يُدعَى مع الله غيره، ولا يُستعان بغيرِ الله، ولا يُشرك مع الله عزّ وجلّ في أيّ نوع من أنواع العبادة، وإثباتِ صفات الله عزّ وجلّ التي وصف بها نفسَه ووصفه بها رسوله إثباتَ معنى، لا إثباتَ كيفيّة، وتنزيهِ الربِّ تبارك وتعالى عن كلِّ ما لا يليق به، فإنّ السلف رضي الله عنهم كانت معاني صفاتِ الله تعالى أظهرَ عندهم من معاني الأحكام العمليّة، ولذلك لم يسألوا عن معانيها كما سألوا في الأحكام، والوقوفِ حيث انتهَوا إليه في أمور العبادة وأحكامَ الدّين.

• ومن صفاتِ فرقةِ الحقِّ الناجية الاعتصامُ بكتاب الله تعالى وسنّة رسوله وردُّ التنازع والاختلافِ إلى ذلك، قال الله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران:١٠٣]، وقال عز وجل: ﴿فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [النساء:٥٩]، وتأويلُ القرآن وتفسيره بالقرآن وبالسنة وبأقوال الصحابةِ والتابعين، فإنّ اللهَ تعالى ذمّ من اتّبع المتشابهَ وأوّل بالرّأي، ومدح الرّاسخين في العلم المتّبعين غيرَ المبتدعين.

• ومن صفاتِ فرقةِ الحقّ الناجية التمسكُ بما أجمع عليه السلفُ وما أجمع عليه علماء الأمّة وعدمُ المشاقّة لله ولرسوله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء:١١٥].

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية تعظيمُ قول رسول الله وسنّته والعنايةُ بآثاره بحفظِها والذبُّ عنها والرضا بتحكيمِها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور:٥١]، وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء:٦٥]،

وروى الآجري بسنده عن عمران بن حصين رضي الله عنه أنّه قال لرجل يقول: لا أعمَل إلا بما في كتاب الله تعالى: (إنّك أحمقُ، أتجد في كتاب الله عزّ وجلّ الظهرَ أربعًا لا يُجهَر فيها بالقراءة؟ ثم عدَّد عليه الصلاةَ والزكاةَ ونحوهما، ثم قال: أتجد هذا في كتاب الله عز وجلّ مفسَّرًا؟! إنّ كتاب الله جَلّ وعلا أحكَمَ ذلك، وإنّ السنة تفسِّر ذلك)، وروَى الإمام أحمد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال في الواشمة والمستوشمة والمتنمّصة: (ما لي لا ألعنُ من لعن رسول الله وهو في كتاب الله: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا﴾ [الحشر:٧].

• ومن صفات فرقة الحق الناجية بذلُ الجهد في معرفةِ الحقّ ودلائله وعدمُ الرضا بأقوالِ الرجال في دين الله ممّا لا يؤيِّده كتابٌ ولا سنّة ولا أصلٌ أصَّله علماء المسلمين، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر:١٨]، وقال تعالى: ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف:٣].

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية محبّةُ المؤمنين ورحمة المسلمين ونُصحهم وكفُّ الأذى والشرِّ عنهم، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة:٥٤].

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية سلامةُ قلوبهم وألسنتهم لسلفِ الأمّة رضي الله عنهم ومحبّتهم، قال الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر:١٠]. وهذا بخلافِ ما عليه طوائفُ من الفِرق الإسلامية من سبِّهم ولعنهم للصّحابة وسبِّهم لخيار الأمة وساداتِ الأولياء رضي الله عنهم.

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية القيامُ

# منبر الحرمين

بالدين عملاً به ودعوةً إليه وإقامةً للحجة على المخالفين وجهادًا في سبيله، قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ﴾ [المائدة:٥٤]، وروى مسلم في صحيحه أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تزال طائفة من أمتي على الحقِّ ظاهرين، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتيَ أمر الله وهم على ذلك» [رواه مسلم].

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية النصيحةُ لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامّتهم، وطاعةُ ولاة الأمر وأمرُهم بالمعروف ونهيُهم عن المنكر بالحكمة والصّواب، وطاعتُهم في المعروف وعدمُ الخروج عليهم ما لم يكن كفرٌ بواح فيه من الله برهان، بخلاف بدعةِ الخوارج الذين يستحلّون دماءَ المسلمين وأموالهم، ويرونَ الخروجَ على الأئمّة ويستحلون قتلَ النفوس المعصومة.

ثم إنَّ أهلَ البدع قسمان: أئمّةٌ وأتباع، والأئمّة من أهلِ البدع منهم من انتحلَ مذهبَه بسوءِ قصدٍ وكيد للإسلام، ومنهم من انتحلَه بحسن نيّةٍ، وكلٌّ هالك إلاّ أن يتوبوا ويكونوا مع المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران:٧].

أيها المسلم، تمسك بما كان عليه سلفُ الأمّة الذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، ووعدهم الجنّة، وشهد لهم بالإيمان الكامل، وعَضَّ على ذلك بالنواجذ، ولا تغترّ بكثرةِ الهالكين، ولا تستوحِش من قلّة السالكين.

• ومن صفات هذه الفرقة الناجية الأمرُ بالمعروف والنهيُ عن المنكر والدّعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة وتبليغُ الحقِّ للناس، قال الله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنْ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ويقول: «مَن رأى منكم منكرًا فليغيّره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعفُ الإيمان» رواه مسلم، والتّغييرُ باليد للسّلطان ونوّابه. ويقول تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنْ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف:١٠٨].

هذه صفاتُ الفرقة الناجيّة من الفِرق الإسلامية التي تسير على نهجِ سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومَن تبعهم بإحسان، فكونوا على نهجهِم وسبيلِهم تفوزوا بخيرَي الدنيا والآخرة.

يا معشر المسلمين، قد حذّر رسولُ الله ﷺ من مخالفةِ هديه وهدي أصحابه الأخيار، فقال عليه الصلاة والسلام: «وإياكم ومحدثاتِ الأمور؛ فإنّ كلَّ بدعةٍ ضلالة». قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [هود:١١٢].

أيها المسلمون، لقد حذّر الله تعالى من الفِتَن، ونهى عن الفُرقة والاختلاف، وأمر بالاجتماع والتعاون على الخير والائتلاف، فقال تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنْ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران:١٠٣].

وتحذيرُ القرآن والسنّةِ من الفتن ومِنَ الفُرقة لأنها تذهب بالدين أو تُضعفه أو تُنتَهك فيها الحرُمات والأعراض أو تذهب بالأموال وتفسِد الحياةَ الدنيا.

ومِن الفِتن في هذا الزمان القنواتُ التي تهدِم الدينَ والأخلاق وتدعو إلى الانحراف، وكذلك المواقعُ الضارّة في شبكة المعلوماتِ وما أكثرَها، فإنها تدعو إلى كلّ شرٍّ وتصدُّ عن كلّ خَير، وتُحَسِّن محاكاةَ الأمَم غيرِ الإسلامية في كلّ شيء، فالرسول عليه الصلاةَ والسلام يقول: «لتتبعُنَّ سَنَن من كان قبلكم حذوَ القُذّة بالقذّةِ حتى لو دخلوا جحرَ ضبٍّ لدخلتموه» رواه البخاري ومسلم، وإخبارُه ﷺ بذلك لتحذيرِ أمّته من التشبّه بالكفار.

وإنَّ من القنواتِ المفسِدة التي يجب علَى المسلمِ الحذرُ منها ومُقاطعتُه لها هي وأمثالها قناةُ الإصلاح وفقيهُها التي تبثّ السمومَ بين المسلمين وتدعو بين وقتٍ وآخر إلى المظاهراتِ والتّخريب، كما نحذّر كلَّ مسلمٍ ممّن ينتهج هذا النّهج الذي يدعُو إلى الفوضَى والإفسادِ في الأرض، فإنّ هذه المظاهراتِ عملٌ غوغائيّ فوضويّ ممقوت، لا تجوز المشاركةُ فيها شرعًا، ولا الذهابُ إلى مكانها للمشاهَدةِ والتّسلية؛ لأنّه تكثير لسوادِ أهلها، ولأنّ فيه نوعًا من تأييدِها، ولأنها تعرّض المسلمين للخطر في الأنفس والأموال، قال الله تعالى: ﴿وَلا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [الأعراف:١٤٢]. وإنها لا مكانَ لها في بلادنا ولله الحمد، ويجب أن لا يكونَ لها مكانٌ في بلاد المسلمين، وكلّ من ينتهج نهجَ التخريب والإفساد والعُدوان والظلم لا يمتُّ عملُه هذا إلى الإسلام بأيِّ صِلة وإن سمّى عملَه جهادًا وإصلاحًا، فالعبرة بالمعاني والمسمّيات، وليستِ العبرةُ بالأسماء.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

## لمحات من حياة الإمام

# محمد بن إسماعيل الصنعاني

## • الحلقة الثالثة •


بقلم/ أ.د

عبد الله شاكر الجنيدي

نائب الرئيس العام


*الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، أما بعد:*

*بعد أن استعرضنا طرفًا من حياة العلامة الشيخ/ محمد بن إسماعيل الصنعاني وذكرنا نشأته وشيوخه وتلاميذه، نعرض لأهم لمحة من لمحات حياة هذا الإمام العَلَم وهي عقيدته ومذهبه، لنرى كيف كان الإمام رحمه الله على أصول عقيدة أهل السنة والجماعة ومنهجهم في التلقي والاستدلال.*

### ثالثًا: عقيدته ومذهبه:

### أولاً: عقيدته:

قبل أن أحكم على عقيدة الصنعاني أرى لزامًا عليَّ أن أبين موقفه من مسائل العقيدة وهل اتبع فيها عقيدة السلف، أم عقيدة المخالفين، وما رأيه في الفرق المختلفة المخالفة لعقيدة أهل السنة والجماعة.

١- موقفه من توحيد الربوبية والألوهية:

لا شك أن كل مهتم بعقيدة السلف يعرف كتاب «تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد»، وهو كتاب جدير بأن يحتل مكانة عظيمة بين الكتب التي عالجت وفرقت بين مفهوم توحيد الربوبية والألوهية، ويعتبر الصنعاني بهذا الكتاب الذي تحدث فيه عن معنى «لا إله إلا الله» من أبرز من حمل لواء الدعوة إلى إخلاص التوحيد لله ونبذ البدع والضلالات والشرك والخرافات في القرن الثاني عشر، ثم تبعه الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله في نفس القرن ليجهر ويجاهد ويدافع عن هذا الأمر العظيم(١).

ولما سمع الصنعاني بظهور الشيخ محمد عبد الوهاب، وعرف أنه يدعو إلى الدين الحق والرجوع إليه أرسل بقصيدته الدالية المشهورة في عام ١١٦٣هـ التي مدحه فيها وعبر عن سروره وفرحه بظهور هذه الدعوة المباركة في الوقت الذي كان يظن أنه هو وحده على هذه العقيدة، ولما قال فيها:

لقد سرني ما جاءني من طريقة
وكنت أظن هذه الطريقة لي وحدي(٢)

وهذا يبين لدعاة التوحيد والسنة وغيرهم أن السائرين على منهج السلف تلتقي أفكارهم وتتوحد جهودهم وإن تباعدت ديارهم واختلفت أوطانهم، لاجتماعهم وأخذهم من منبع واحد هو القرآن والسنة(٣).

٢- موقفه من علم الكلام والمتكلمين:

لقد حارب الصنعاني علم الكلام وبين فساد منهج المتكلمين في أكثر من موطن، وقد قال عنهم في كتابه «إيقاظ الفكرة لمراجعة الفطرة»: «فإذا نظرت مبادئ كلامهم في علم الكلام وكتب الحكمة في الزمان والمكان، رأيت محارات يظلم منها القلب الحي، ولا يقف منها على شيء، ولكنهم خَفوا عند رؤية كلام الفلاسفة وجعلوه عنوانا لأصول الدين»(٤).

وكان يمتاز بتقديم النقل على العقل واتباع النصوص في مسائل العقائد وغيرها. يقول في ذلك رحمه الله: «اعلم أن المختار عندي والذي أذهب إليه وأدين به في هذه الأبحاث ونحوها، هو ما درج عليه سلف الأمة ولزموه من اتباع السنة والبعد عن الابتداع والخوض فيها إلا لردها على لزوم مناهج الأنبياء، وكيف ترد الأقوى إلى الأضعف»(٥).

٣- مخالفته للمعتزلة والأشاعرة ورميهم بالابتداع:

أعلن الصنعاني مخالفته للمعتزلة والأشاعرة، وإن تأثر بالمعتزلة في خلق أفعال العباد إلا أنه انتقد المعتزلة كثيرًا، وكذلك الأشاعرة ووصفهم بالابتداع، ومن أقواله في ذلك: «إنما قدمت هذا لئلا يظن الناظر أني أذهب إلى قول فريق من الفريقين المعتزلة

والأشاعرة، فإن الكل قد ابتدعوا في هذا الفن الذي خاضوا فيه»(٦).

٤- موقفه من الأسماء والصفات وما يتعلق بالأمور الغيبية:

ينطلق الصنعاني في هذا الباب من منطلق سليم يتفق مع منهج السلف، ومما قال في ذلك: «قد علم من الدين ضرورة أن لله أوصافًا كلها كمال، قال جل جلاله: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ﴾، فالإيمان بها واجب على جميع العباد والنكير متعين على من جحدها، أو ادعى أن فيها اسم ذم لله تعالى، ومنها ما ثبت في الأحاديث، فمن عرف صحة الحديث المفيد لذلك وجب عليه الإيمان به»(٧).

كما نقل كلام ابن القيم في شرحه لمنازل السائرين، وأبطل تأويل الصفات من ستة أوجه(٨). وقال في كتابه: «جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت» وهو بصدد الحديث عن سؤال الملكين وما يتعلق بأمور الآخرة «... فيجب قبول ما أخبر به من أمور الدارين وتلقيه بالتصديق وحمله على اللغة العربية من غير تحريف، فإن فهمت المقالة فيا حبذا، وإن لم تفهم فلا تقل نؤوله بكذا ولا بكذا، بل تكل فهمه إلى قائله، وتتهم فهمك القاصر، وتسأل الله أن يعلمك ما لم تعلم فهو على كل شيء قدير، وما أحسن ما قاله ابن القيم رحمه الله: «ينبغي أن يفهم عن رسول الله ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمل، ولا يقصر به عن مراده، وما قصد به من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال والعدول عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله»(٩).

ومع هذا فقد وقع من الصنعاني في بعض المواطن ما ينتقد عليه، فقد نقل كلام المقبلي بصوابه وخطئه وسكت عنه، كما لم يحقق موقف ابن تيمية في مسألة الجهة- غفر الله لنا وله-.

٥- حبه لجميع أصحاب رسول الله ﷺ:

قد يظن البعض أن الصنعاني لنشأته في بيئة زيدية يذهب إلى بعض أقوال الروافض، وقد ذهب إلى ذلك الدكتور خليل إبراهيم ملا خاطر حينما نسب الصنعاني إلى التشيع، ووضع قوله إلى جانب قول الروافض، وهذا تحامل شديد على هذا الإمام العالم وهو بريء منه، وقد رد الدكتور أحمد العليمي(١٠) على الدكتور المذكور في ذلك. ولقد عاش الصنعاني محاربًا في بلده ووطنه لمخالفته لما هم عليه من التشيع والرفض حتى أنهم رَمَوه بالنصب(١١). وهو من آل البيت، ويسجل لنا ديوان الصنعاني رسالة أرسلها إلى أحد تلامذته وهو العلامة أحمد بن محمد قاطن، في شأن الرجل الذي دخل صنعاء، وكان من العجم، فسب الصحابة ونال منهم، وحزن الصنعاني لذلك وكتب رسالة إلى تلميذه المذكور ومما جاء فيها: «فاقرة في الدين، قاصمة لظهور المتقين، ومصيبة في الإسلام لم يطمع في وقوعها إبليس اللعين، ومكيدة في الإسلام أسست بآراء جماعة من الأقدام»(١٣). وهي ظهور الرفض وسب العشرة المشهود لهم بالجنة على لسان الرسول الأمين ﷺ وعلى آله الطاهرين حاشا عليا أمير المؤمنين، ويستمر الصنعاني في رسالته فيذكر أنه حصل للعجمي هذا قبولٌ عند الخليفة المنصور، وأمره أن يملي نهج البلاغة وشرحه لابن أبي الحديد على الكرسي في الجامع الكبير إلى أن قال: «ومازال كل ليلة يسرد من هذا حتى ذكر أنه حرف القرآن بعض الصحابة، فسب الصحابة العامة من الناس، ولعنوا أعيان أصحاب رسول الله ﷺ، وحاصله أنه لم يبق مذهب من مذاهب العجم إلا دسه»(١٤).

٦- ثناؤه على أئمة أهل السنة والجماعة:

من المعلوم أن من أمارة أهل البدع الوقيعة في أهل السنة وتنقيصهم ورميهم بما ليس فيهم حقدًا وبغضًا، وهذا شأن المبتدعة في كل زمان ومكان(١٥). وما قاله الكوثري عن أعلام السلف ليس منا ببعيد(١٦). أما أهل الحق والهدى فيعرفون لسلف هذه الأمة والسائرين على منهج الرسول ﷺ فضلهم ومكانتهم، ومن هنا نجد الصنعاني يثني كثيرًا على ابن تيمية وابن القيم، فوصف ابن تيمية بالعلامة شيخ الإسلام، وبتبحره في العلوم وسعة اطلاعه على أقوال السلف والخلف(١٧).

وقال عن ابن القيم: «إنه الذي أتى بنفيسي العلم في كل ما يبدي»، ولما سمع بدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب فرح كثيرًا بظهوره، وما ذلك إلا أنه لأنه يحب عقيدة السلف ويجاهد لنشرها ويرغب أن يعم خيرها البلاد والعباد، وقد سبق أن أشرت إلى ذلك.

وكما كان يثني على السلف كان يحذر ويذم أهل البدع والضلال. يقول الأستاذ قاسم غالب ورفقاه عن الأمير: «ولم يكتف ابن الأمير بدراسة الكتب التي تخدم مذهبه ولكنه كان لا يقع على كتاب ينحرف فيه صاحبه عن القصد، حتى يلفت النظر إلى انحرافه، ويدعو مدرسته إلى

الاحتراس منه، قرأ كتاب «الإنسان الكامل» للجيلي فارسل وراءه قصيدة يقول فيها:

هذا كتاب كله جهل
وخلاف ما جاءت به الرسل
قد ضل اقوام برؤيته
فغدوا وليس لدينهم ظل[18]

وبعد: فها هي الأصول والقواعد التي كان عليها الصنعاني ودعا إليها وسار عليها من خلال ما سطره هو في كتبه، فأين نضع الرجل بعد ذلك؟ لا يمكن أن يكون إلا من أهل السنة والجماعة الذين كانوا على عقيدة السلف وساروا عليها، وجاهدوا وحوربوا من أجل التمسك بها في عصر لا يعرف إلا الجهل والخرافة.

وقد يقول قائل: للصنعاني بعض المخالفات للسلف كما سبقت الإشارة إلى ذلك في الصفات وكمسالة خلق أفعال العباد.

اقول: الصنعاني حاول جاهدًا تحرير هذه المسألة، ولكنه لم يتمكن وهو وسط هذا الجو الخانق من معرفة الحق فيها، ومع هذا فهو رجح ما ترجح عنده دون متابعة لفرقة معينة أو مذهب معين، وقد سبق بيان عدم متابعته للمعتزلة والأشاعرة، وأحيانًا تقوم بالعالم شبهات لا يتمكن من التخلص منها، لعدم الموجه الصادق أثناء الطلب، ولعدم توفر كتب السلف والعاملين بها كما في بيئة الصنعاني.

## ثانيًا: مذهبه:

مذهب الصنعاني يلتقي مع عقيدته، فليس له مذهب إلا ما جاء في الكتاب والسنة، لذلك تجده يدعو إلى الاجتهاد ونبذ التقليد، ويؤلف كتابًا خاصًا في ذلك ليعالج قضية الاجتهاد والتقليد، ولقد فند في كتابه حجج المانعين للاجتهاد مبينًا أن التعصب للمذهب هو الذي دفعهم إلى ذلك، وعاد إلى تعظيم السنن والانقياد لها وترك الاعتراض عليها، ومن أقواله في ذلك: «وقد منع أئمة الدين معارضة سنة سيد المرسلين ﷺ بأقوال غيره من الأئمة المجتهدين»[18].

ونقل عن الشيخ محمد حياة السندي قوله: «فمن تعصب لواحد معين غير الرسول ﷺ ويرى أن قوله هو الصواب الذي يجب اتباعه دون الأئمة الآخرين فهو ضال جاهل، بل قد يكون كافرًا يستتاب، فإن تاب وإلا قتل، فإنه متى اعتقد انه يجب على الناس اتباع واحد معين من هؤلاء الأئمة رضي الله عنهم دون الآخرين، فقد جعله بمنزلة رسول الله ﷺ وذلك كفر»[19].

ومن هذا المبدأ انطلق الصنعاني رحمه الله في علومه ومؤلفاته ياخذ ما يؤيده الدليل ويترك ما سواه، ويناقش ويرجح ويجمع ما أمكن بين الأدلة كعالم مجتهد له مكانته ومنزلته، وإن كتابه سبل السلام لخير شاهد على ما اقول وهو معروف ومتداول بين طلبة العلم.

تظهر مكانة الصنعاني في سلوكه لهذا المنهج لمن نظر وتتبع حالة المجتمع الإسلامي وما وصل إليه من خرافة وتقليد في زمنه، فإذا ظهر رجل في وسط هذا المجتمع بهذا الفكر النير، وهذه الدعوة التي ترد كل شيء إلى الكتاب والسنة في الأصول والفروع، كان هذا دليلاً على صحة مذهبه ودعوته، وقد ذكر أبياتًا من الشعر تبين منهجه فقال:

لا يسأل الملكان من حل الثرى
إلا عن المختار من عدنان
لا عن مذهب أحمد أو مالك
والشافعي ومذهب النعمان
كلا ولا زيد ولا عمرو فدع
كلا وتابع واضح البرهان
هذا ووال المسلمين جميعهم
وقل الجميع لأجله إخواني
واستغفر الله العظيم لكلهم
فبذا اتاك الأمر في القرآن[20]

---

(1) ولد الأمير الصنعاني عام ١٠٩٩هـ، والشيخ محمد بن عبد الوهاب عام ١١١٥هـ. (2) ديوان الأمير الصنعاني (ص١٣٠).
(3) انظر تطهير الاعتقاد عن أدران الإلحاد (ص٧، ٨)، لنقف على قول الصنعاني في توحيد الربوبية والألوهية.
(4) إيقاظ الفكرة (ج١/٢٩٥، ٢٩٦). (5) الأنفاس الرحمانية اليمنية على الإفاضة المدنية (خ ورقة ٢٧/أ).
(6) المرجع السابق، نفس الورقة. (7) إيقاظ الفكرة لمراجعة الفكرة (ج١/١٧٦). (8) المرجع السابق (ج١/١٩٨- ٢٠٣).
(9) جمع الشتيت شرح أبيات التثبيت. (10) انظر كتابه: «الصنعاني وكتابه توضيح الأفكار» (ص٩٨، ٩٩، ١٠٣، ١٠٦).
(11) البدر الطالع (ج٢/١٣٥)، والنصب هو إيذاء أهل البيت.
(12) القدم من الناس: العمى عن الحجة والكلام، مع ثقل ورخاوة وقلة فهم. لسان العرب (ج١٢/٤٥٠).
(13) ديوان الأمير الصنعاني (ص٤٥١- ٤٥٢). (14) انظر رسالة السنة للإمام أحمد بن حنبل (ص٨٦، ٨٧).
(15) انظر مقدمته على الأسماء والصفات للبيهقي، ومقدمته على تبيين كذب المفترى لابن عساكر وغيرهما.
(16) رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار للصنعاني (ص٦٣، ١٢٠). (17) انظر كتاب ابن الأمير وعصره (ص١٦٥).
(18) إرشاد النقاد إلى تيسير الاجتهاد (ص١٣٧). (19) السابق (ص١٤٥) (20) ديوان الصنعاني (ص٣٨٧).




# مسعر بن كدام

إعداد/ مجدي عرفات

**اسمه ونسبه:**

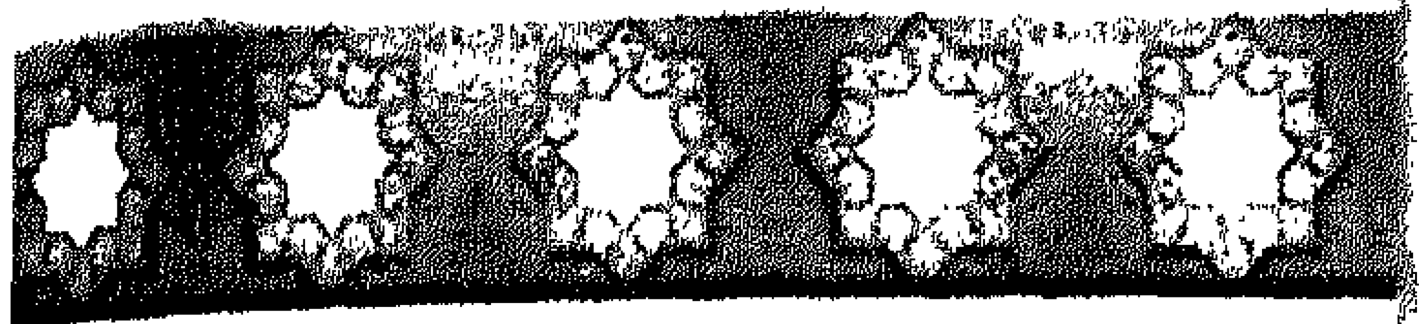
هو مسعر بن كدام بن ظهير بن عبيدة بن الحارث أبو سلمة الرؤاسي الهلالي الكوفي الأحول الحافظ.

**شيوخه ومن روى عنهم:**

روى عن الحكم بن عتيبة وقتادة بن دعامة وسعد بن إبراهيم وقيس بن مسلم وأبي إسحاق السبيعي وحبيب بن أبي ثابت ومحارب بن دثار ويزيد الفقير ومحمد بن عبد الرحمن ابن أبي ليلى والزهري ومحمد بن المنكدر وغيرهم.

**تلامذته والرواة عنه:**

روى عنه سفيان بن عيينة ويحيى بن سعيد القطان وسليمان التيمي وابن نمير ووكيع بن الجراح ويزيد بن هارون وابن المبارك ويحيى بن آدم وخلق سواهم.



**ثناء العلماء عليه:**

قال يحيى بن سعيد ما رأيت أحدًا أثبت من مسعر وقال أحمد بن حنبل الثقة كشعبة ومسعر.

قال عبد الرحمن بن مهدي: حدثنا أبو خلدة فقال أحمد بن حنبل: كان ثقة؟ فقال: كان مؤدبًا وكان خيارًا، الثقة شعبة ومسعر.

قال وكيع شكُّ مسعر كيقين غيره.

وقال سفيان بن عيينة قالوا للأعمش إن مسعرًا يشك في حديثه قال شكه كيقين غيره.

قال هشام بن عروة: ما قدم علينا من العراق أفضل من ذاك السختياني أيوب وذاك الرؤاسي مسعر.

قال شعبة بن الحجاج: كنا نسمي مسعرًا المصحف، يعني من إتقانه، قال أبو معمر القطيعي قيل لسفيان بن عيينة من أفضل من رأيت؟ قال مسعر.

قال يعلى بن عبيد: كان مسعر قد جمع العلم والورع.

قال عبد الله بن داود الخُريبي ما من أحد إلا وقد أُخذ عليه إلا مسعر قال يحيى بن سعيد القطان: ما رأيت مثل مسعر كان من أثبت الناس.

قال سفيان الثوري كنا إذا اختلفنا في شيء أتينا مسعرًا.

قال أبو نعيم: مسعر أثبت ثم سفيان ثم شعبة وقال أيضا: كان مسعر شكاكًا في حديثه وليس يخطئ في شيء من حديثه إلا مرة حديث واحد.

قال ابن عمار: حجة، من بالكوفة مثله؟

قال العجلي كوفي ثقة ثبت.

وقال أبو حاتم مسعر أتقن من سفيان وأجود حديثًا وأعلى إسنادًا وهو أتقن من حماد بن يزيد وقد سأله ابنه: عن مسعر إذا خالفه الثوري؟

فقال الحكم لمسعر فإنه المصحف.

قال أبو زرعة: ثقة.

قال ابن المبارك:

من كان ملتمسًا جليسًا صالحًا
فليأت حلقة مسعر بن كدام
فيها السكينة والوقار وأهلها
أهل العفاف وعلية الأقوام

قال الذهبي: الإمام الثبت شيخ العراق الحافظ.

قال ابن حجر: ثقة ثبت فاضل.

**من أحواله وأقواله:**

قال الحسن بن عمارة: إن لم يدخل الجنة إلا مثل مسعر إن أهل الجنة لقليل، قال خالد بن عمرو: رأيت مسعرًا كان جبهته ركبة عنز من السجود.

قال محمد بن مسعر كان أبي لا ينام حتى يقرأ نصف القرآن.

قال معن: ما رأيت مسعرًا في يوم إلا وهو أفضل من اليوم الذي كان بالأمس، قال قبيصة: كان مسعر لأن ينزع ضرسه أحب إليه من أن يسأل عن حديث.

قال ابن السمَّاك رأيت مسعرًا في النوم فقلت أي العمل وجدته أنفع؟ قال ذكر الله.

قال مسعر لرجل رأى عليه ثيابا جيدة: ليس هذا من آلة طالب الحديث وكان طالب حديث.

قال مسعر من طلب الحديث لنفسه فقد اكتفى ومن طلبه للناس فليبالغ.

أنشد مسعر:

نهارك يا مغرور سهو وغفلة
وليلك نوم والردى لك لازم
وتَشْغَبُ فيما سوف تكره غِبّه
كذلك في الدنيا تعيش البهائم

قال أبو أسامة سمعت مسعرًا يقول إن هذا الحديث يصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون؟

قال الذهبي معلقا على هذا: قلت هذه مسألة مختلف فيها هل طلب العلم أفضل؟ أو صلاة النافلة والتلاوة والذكر؟ فأما من كان مخلصًا في طلب العلم وذهنه جيد فالعلم أولى ولكن مع حظ من صلاة وتعبّد فإن رأيته مجدًا في طلب العلم، لاحظ له في القربات فهذا كسلان مهين، وليس هو بصادق في حسن نيته، وأما من كان طلبه الحديث والفقه غِيةً، ومحبة نفسانية فالعبادة في حقه أفضل، بل ما بينهما أفعل تفضيل، وهذا تقسيم في الجملة، فَقَلَّ - واللهِ - من رأيته مخلصًا في طلب العلم دَعْنَا من هذا كلّه فليس طلب الحديث اليوم على الوضع المتعارف من حَيّز طلب العلم، بل اصطلاحٌ وطلبُ أسانيد عالية وأخذ عن شيخ لا يعي وتسميع لطفل يلعب ولا يفهم أو لرضيع يبكي أو لفقيه يتحدث مع حدث أو آخر ينسخ وفاضلهم مشغول عن الحديث بكتابة الأسماء أو بالنعاس والقارئ إن كان له مشاركة فليس عنده من الفضيلة أكثر من قراءة ما في الجزء سواء تصحف عليه الاسم أو اختبط المتن أو كان من الموضوعات فالعلم عن هؤلاء بمعزل والعمل لا أكاد أراه بل أرى أمورًا سيئة. نسأل الله العفو.

قال مسعر: الإيمان قول وعمل. قلت: في هذا تبرئة له من تهمة الإرجاء.

قال مسعر: التكذيب بالقدر أبو جاد الزندقة.

أنشد مسعر:

ومشيد دارًا ليسكن داره
سكن القبور وداره لم تسكن

وقال يوصي ولده كدامًا:

إني منحتك يا كدام نصيحتي
فاسمع مقال أب عليك شفيق
أما المُزاحة والمراء فدعهما
خلقان لا أرضاهما لصديق
إني بلوتهما فلم أحمدهما
لمجاور جارًا ولا لرفيق
والجهل يزري بالفتى في قومه
وعروقه في الناس أي عروق

قال محمد بن سعد: كان لمسعر أم عابدة فكان يخدمها.

**وفاته:** توفى مسعر في رجب سنة خمس وخمسين ومائة.

**المراجع:**


- سير أعلام النبلاء.
- تهذيب التهذيب.
- تقريب التهزيب.



# دروس وعبر من قصة

*الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله ومن والاه، أما بعد:*

*فهذه بعض الدروس والفوائد التي استُخلصت من قصة داود عليه السلام:*

١- تجليات فضل الله على عباده.

ترادف نعم الله على عباده عامة وعلى أنبيائه وأوليائه خاصة لا ينكره إلا جاحد، وقد خصَّ الله نبيه داود بمزيد من فضله وظهر ذلك واضحًا في المظاهر الآتية:

*سخر الله له الجبال والطير تردد معه ذكره وتسبيحه.

*ألان في يده الحديد فصار كالعجينة يصنع منه ما يشاء.

*يسَّر له تلاوة الزبور، وآتاه الملك فجمع له الخيرين خير الدنيا والآخرة.

*أنعم عليه بالقوة في البدن والحكمة في الرأس والعدل في الحكم.

*أنعم عليه بالذرية الصالحة: «وورث سليمان داود».

٢- الشكر قيد النعمة:

شكر النعمة يمنعها من الزوال ويجلب المزيد، ويمنع النقمة، وبهذا قضى العزيز الحميد، فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧]، وقليل من الناس من يعرف النعمة فيقرُّ بها للمنعم سبحانه ويشكره عليها بوضعها فيما أمر سبحانه، وكان داود عليه السلام من هذا القليل الشاكر، فاستحق من الله الثناء: ﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ [سبأ: ١٣].

٣- بنو إسرائيل لم يشكروا نعمة الله عليهم:

لم يشكر اليهود نعمة الله عليهم بإنزال التوارة، فحرفوها وبدلوها ولم يعملوا بما فيها، ولم يشكروا نعمة الله عليهم بتتابع الأنبياء فيهم، فآذوا أنبياء الله حال حياتهم وبعد مماتهم، ومنهم من قتلوه، ومن ذلك ما فعلوه مع نبي الله داود عليه السلام وهو المبجل فيهم، فوصفوه بالثائر السفاح الذي يحب سفك الدماء وإقامة الملك على جماجم البشر، وإن شئت التفاصيل فراجع العهد القديم، سفر الملوك الثاني الفصول من (٥- ٢٠)، وكذلك ما نسبوا إلى نبيهم داود زورًا وبهتانًا أن داود عليه السلام قد رأى امرأة جاره وهي تغتسل فأحبَّها حبًا شديدًا، فأرسل زوجها في إحدى المعارك، وأمر القائد أن يجعله في المقدمة لعله يقتل فيتزوج امرأته، وتوراة اليهود التي كتبوها بأيديهم- وليست التوراة التي أنزلها الله على موسى- تمتلئ بهذه السفاهات التي أنزه سمع القارئ وبصره عنها.

فهم لم يتركوا نبيًا إلا أساءوا إليه، بل لم يسلم الله سبحانه وتعالى من افتراءاتهم، فتعالى الله عما يقولون علوًا كبيرًا.

ومن هنا فقد حذرنا الله أن نكون مثلهم، وذكر ذلك في كتابه الكريم تصريحًا وتلميحًا.

# داود عليه السلام

إعداد
عبد الرزاق السيد عيد

٤- أفضل ما أكل الإنسان من عمل يده:

هذا أيضًا مما تعلمناه من قصة داود عليه السلام، فعلى الرغم من كونه خليفة في الأرض وملكًا على أمة امتد ملكها، إلا أنه كان يأكل من عمل يده: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ (١٠) أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾، فكان عليه السلام يصنع الدروع ويبيعها ويأكل من ثمنها.

وفي صحيح البخاري قال ﷺ: «ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبيَّ الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده». وهكذا الأنبياء والصالحون، فمنهم من كان يرعى الغنم، ومنهم من كان نجارًا؛ كزكريا عليه السلام، ومنهم من عمل بالنجارة زمنًا مثل نوح عليه السلام، ومنهم من عمل بالتجارة فكان يبيع ويشتري في الأسواق، وكبار الصحابة رضي الله عنهم كان الواحد منهم يعمل بيده ويحمل على ظهره ليكتسب قوته ويتصدق من عمل يده، فقد أرشدهم النبي ﷺ إلى العمل وكسب القوت، حتى ولو كان العمل في الاحتطاب، فلا غضاضة في ذلك، فهذا خيرٌ من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه، وأحاديث النبي ﷺ متواترة في ذلك، وأعمال الصحابة كذلك شاهدة على ذلك، فكانوا يتناوبون فيما بينهم في سماع النبي ﷺ والجلوس عنده وفي طلب الرزق، ومن عجب أن يخفى ذلك على كثير من شبابنا ممن يدعون طلب العلم ويتخذونه حرفة لهم، حتى أصبحوا عالة على غيرهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

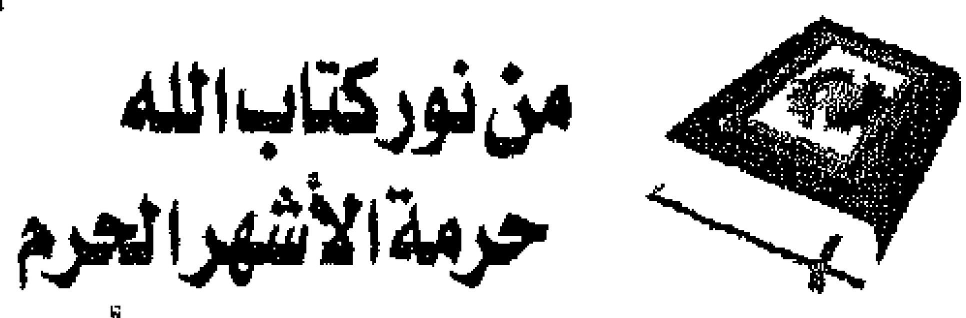
٥- من المعجزات المحسوسة أن ألان الله الحديد لداود عليه السلام فجعله مطاوعًا له يشكله كما يشاء، وهذه آية من آيات الله الكونية ودليل على قدرة الله سبحانه، فهو الذي جعل النار بردًا وسلامًا على إبراهيم، وجعل الماء سلاحًا أغرق فرعون، ونجا موسى، وألان الحديد لداود، وهكذا فلله جنود السماوات والأرض يفعل ما يشاء ويختار؛ ولكن أكثر الناس يجهلون هذه الحقيقة.

٦- ومن الفوائد ما ذكره الشيخ عبد الرحمن السعدي رحمه الله، فقال في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ﴾ الآية، هذه الآية تمنع من حكم الحاكم بعلمه؛ لأن الحكام لو مكنُّوا أن يحكموا بعلمهم لم يشأ أحدهم إذا أراد أن يحفظ وليه ويهلك عدوه إلا ادعى عليه فيما حكم به، ونحو ذلك؛ روى عن جماعة من الصحابة منهم أبو بكر رضي الله عنه قال: لو رأيت رجلاً على حدٍ من حدود الله ما أخذته حتى يشهد على ذلك غيري.

وروى أن امرأة جاءت إلى عمر رضي الله عنه فقالت له: احكم لي على فلان بكذا فإنك تعلم ما لي عنده، فقال لها: إن أردت أن أشهد لك فنعم، وأما الحكم فلا.

وفي صحيح مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قضى بيمين وشاهد. انتهى مختصرًا.

وأقول: قد ازدان القضاء الإسلامي بدرر ناصعات من النزاهة والعدل واحترام حقوق الآخرين حتى ولو كانوا غير مسلمين، وذلك مما يضيق المجال عن ذكره، وأكتفي بهذا القدر، وأسأل الله أن ينفعني بما كتبت، وأن ينفعك بما تقرأ، وأن يرزقنا الثبات على الحق والدين حتى يأتينا اليقين، وإلى لقاء استودعكم الله، والسلام عليكم ورحمة الله.



## من نور كتاب الله

### حرمة الأشهر الحرم

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ﴾ [التوبة ص ٣٥].

## من درر التفاسير

في قوله تعالى" فلا تظلموا فيهن أنفسكم"، قيل: قوله "فيهن" ينصرف إلى جميع شهور السنة، أي فلا تظلموا فيهن أنفسكم بفعل المعاصي وترك الطاعة. وقيل: "فيهن" أي: في الأشهر الحرم. قال قتادة: العمل الصالح أعظم أجرا في الأشهر الحرم، والظلم فيهن أعظم من الظلم فيما سواهن، وإن كان الظلم على كل حال عظيما. [تفسير البغوي]

## فضل شهر المحرم

عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: أفضل الصلاة بعد المكتوبة الصلاة في جوف الليل و أفضل الصيام بعد شهر رمضان شهر الله المحرم. [صحيح مسلم]

## فضل صيام عاشوراء

عن أبي قتادة الأنصاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ سئل عن صوم عاشوراء؟ فقال: يكفر السنة الماضية. [صحيح مسلم]

## سبب صيام عاشوراء؟

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أن رسول الله ﷺ قدم المدينة، فوجد اليهود صياماً يوم عاشوراء، فقال لهم رسول الله ﷺ: ما هذا اليوم الذي تصومونه؟ قالوا: هذا يوم عظيم، أنجى الله فيه موسى وقومه، وأغرق فرعون وقومه، فصامه موسى شكراً. فنحن نصومه، فقال رسول الله ﷺ فنحن أحق وأولى بموسى منكم فصامه رسول الله ﷺ، وأمر بصيامه. [صحيح مسلم]

## من دلائل نبوته ﷺ

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: إن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر. [صحيح البخاري]

## من قطوف الحكمة

عن سيار أبي الحكم، قال: الدنيا والآخرة يجتمعان في قلب العبد فأيهما غلب كان الآخر تبعاً له.

قال عبد الله: لا تعجلوا بحمد الناس وبذمهم، فإن الرجل يعجبك اليوم ويسوءك غداً، ويسوءك اليوم ويعجبك غداً

عن مبارك بن فضالة قال: سمعت الحسن وقال له شاب: أعياني قيام الليل. فقال: قيدتك خطاياك.

## نور الوجه من سلامة الصدر!

عن زيد بن أبي أسلم قال: دخل على أبي دجانة و هو مريض، و كان وجهه يتهلل. فقيل: ما لوجهك يتهلل؟ فقال: ما من عملي شيء أوثق عندي من اثنتين: أما إحداهما فكنت لا أتكلم فيما لا يعنيني، و أما الأخرى: فكان قلبي للمسلمين سليماً. [سنن الدارمي]

## من كلمات العرب في تقسيم الحسن

الصباحة: في الوجه. البهاء: في الجبين. الوضاءة: في البشرة. الجمال: في الأنف.

الحلاوة: في العينين. الملاحة: في الفم. الظرف: في اللسان. اللباقة: في العقل. [فقه اللغة الثعالبي]

## تثبت أولا..!

عن يونس بن عبد الأعلى قال: قال لي الشافعي: يا يونس إذا بلغك عن صديق لك ما تكرهه فإياك أن تبادره بالعداوة و قطع الولاية فتكون ممن أزال يقينه بشك، و لكن القه و قل له: بلغني عنك كذا و كذا و احذر أن تسمي له المبلغ فإن أنكر ذلك فقل له: أنت أصدق و أبر لا تزيدن على ذلك شيئاً و إن اعترف بذلك فرأيت له في ذلك وجهاً لعذر فاقبل منه، و إن لم تر ذلك فقل له: ماذا أردت بما بلغني عنك؟ فإن ذكر ماله وجه من العذر فاقبل منه، و إن لم تر لذلك وجهاً لعذر و ضاق عليك المسلك فحينئذ أثبتها عليه سيئة. ثم أنت في ذلك بالخيار: إن شئت كافأته بمثله من غير زيادة و إن شئت عفوت عنه و العفو أقرب للتقوى و أبلغ في الكرم لقوله الله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله فإن نازعتك نفسك بالمكافأة فافكر فيما سبق له لديك من الإحسان فعدها ثم ابدر له إحساناً بهذه السيئة، و لا تبخسن باقي إحسانه السالف بهذه السيئة فإن ذلك الظلم بعينه يا يونس إذا كان لك صديق فشد يديك به فإن اتخاذ الصديق صعب و مفارقته سهل. [صفة الصفوة]

## كن لله أقرب .. وللشيطان أبعد

عن مطرف قال: إني وجدت ابن آدم كالشيء ملقى بين الله تعالى و بين الشيطان، فإن أراد الله أن ينعشه اجتره إليه، و إن أراد به غير ذلك خَلَّى بينه و بين عدوه. [صفة الصفوة]

## من فضائل الصحابة

عن أنس بن مالك: أن أبا بكر الصديق حدثه قال: نظرت إلى أقدام المشركين على رؤسنا ونحن في الغار، فقلت: يا رسول الله! لو أن أحدهم نظر إلى قدميه أبصرنا تحت قدميه، فقال: «يا أبا بكر! ما ظنك باثنين الله ثالثهما». [صحيح مسلم]

## من درر العلماء

قال الآجري: من أراد الله عز وجل به خيراً لزم سنن رسول الله ﷺ، وما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم، ومن تبعهم بإحسان من أئمة المسلمين رحمة الله عليهم في كل عصر، وتعلم العلم لنفسه، لينتفي عنه الجهل، وكان مراده أن يتعلمه لله عز وجل، ولم يكن مراده، أن يتعلمه للمراء والجدال والخصومات، ولا لدنيا.

ومن كان هذا مراده سلم إن شاء الله تعالى من الأهواء والبدع والضلالة، واتبع ما كان عليه من تقدم من أئمة المسلمين الذين لا يستوحش من ذكرهم، وسأل الله تعالى أن يوفقه لذلك.

فإن قال قائل: وإن كان رجل قد علمه الله عز وجل علماً، فجاءه رجل يسأله عن مسألة في الدين، ينازعه ويخاصمه، ترى له أن يناظره حتى تثبت عليه الحجة، ويرد على قوله؟

قيل له: هذا الذي نهينا عنه، وهو الذي حذرناه من تقدم من أئمة المسلمين.

فإن قال قائل: فماذا نصنع؟.

قيل له: إن كان الذي يسألك مسألته، مسألة مسترشد إلى طريق الحق لا مناظرة، فأرشده بأرشد ما يكون من البيان بالعلم من الكتاب والسنة، وقول الصحابة، وقول أئمة المسلمين. وإن كان يريد مناظرتك ومجادلتك، فهذا الذي كره لك العلماء، فلا تناظره، واحذره على دينك، كما قال من تقدم من أئمة المسلمين إن كنت لهم متبعاً.

فإن قال: ندعهم يتكلمون بالباطل، ونسكت عنهم؟

قيل له: سكوتك عنهم وهجرتك لما تكلموا به أشد عليهم من مناظرتك لهم، كذا قال من تقدم من السلف الصالح من علماء المسلمين. [الشريعة]



دراسات شرعية

# درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة

إعداد/ متولي البراجيلي

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

هذه القاعدة أصل عظيم من أصول الشريعة الإسلامية القائمة على جلب المصالح وتكميلها، ودرء المفاسد وتقليلها.

فمعنى القاعدة: أنه إذا تعارضت مفسدة ومصلحة قدم دفع المفسدة غالبًا، لأن اعتناء الشرع بترك المنهيات أشد من اعتنائه بفعل المأمورات، ولذا قال ﷺ: «إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه».

**أولا: شواهد القاعدة من القرآن:**

شواهد القاعدة من القرآن كثيرة وتفوق الحصر، منها:

-قوله تعالى في الخمر: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا﴾ [البقرة: ٢١٩].

أما إثمها فهو في الدِّين، وأما المنافع فدنيوية من حيث إن فيها نفع البدن، وتهضيم الطعام، وتشحيد بعض الأذهان، ولذة الشدة التي فيها، كما قال حسان بن ثابت في جاهليته:

ونشربها فتتركنا ملوكًا
وأسْدًا لا ينهنهها(١) اللقاء

وكذا بيعها والانتفاع بثمها. (تفسير ابن كثير).

لكن هذه المنافع ليست شيئًا أمام مفاسدها من ذهاب عقل وغفلة وأكل لأموال الناس بالباطل، إلى غير ذلك، فهذا يقدم على المصلحة المظنونة التي ترونها، وهذا كان في أول أمر تدرج تحريم الخمر.

وقوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فقد يحب المرء شيئًا لمصلحة، ولكن قد تكون وراءها مفسدة أشدّ منها وهو لا يعلم.

-وقوله تعالى: ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾، فقد أمر الله تعالى في أكثر من آية بطاعة الوالدين، لكن مفسدة الشرك بالله أكبر من مصلحة طاعة الوالدين.

وقوله تعالى: ﴿فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ إِنْ خِفْتُمْ أَن يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾، فمفسدة الأذى من الكافرين قدمت على مصلحة إتمام الصلاة.

**ثانيًا: شواهد القاعدة من السنة:**

أخرج البخاري بسنده عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال لها: يا عائشة، لولا أن قومك حديثُ عهد بجاهلية لأمرت بالبيت فهدم، فأدخلت فيه ما أخرج منه، وألزقته بالأرض، وجعلت له بابين، بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا، فبلغت به أساس إبراهيم. [صحيح البخاري: ١٥٨٦].

قال الحافظ ابن حجر: لأن قريشًا كانت تعظم الكعبة جدًا، فخشي ﷺ أن يظنوا لأجل قرب عهدهم بالإسلام أنه غيَّر بناءها لينفرد بالفخر عليهم في ذلك، ويستفاد منه ترك المصلحة لأمن الوقوع في المفسدة. [فتح الباري].

فترك النبي ﷺ مصلحة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم عليه السلام دفعًا لمفسدة راجحة.

والحديث أخرجه غير البخاري بروايات أخرى، فيها أن النبي ﷺ كان يريد أن يهدم الكعبة ويعيد بناءها على قواعد إبراهيم عليه السلام، لأن قريشًا

لما أعادت بناء الكعبة اشترطوا أن لا يضعوا فيها إلا نفقة طيبة، لا يدخلوا فيها مهر بغي، ولا بيع ربا، ولا مظلمة أحد من الناس، فقصرت بهم النفقة، فتركوا بعض البيت في الحجر، وجعلوا لها بابًا واحدًا مرتفعًا حتى يدخلوا من يشاؤون ويمنعوا من يشاؤون.

وهذا الحديث هو الذي دفع ابن الزبير رضي الله عنهما لما احترقت الكعبة وأراد إعادة بنائها ادخل فيها الحجر، وجعل لها بابين كما كان يريد النبي ﷺ، لكن الحجّاج بعد ذلك هدمها مرة ثانية وأعادها إلى سابق عهدها.

يقول الحافظ ابن حجر: وفي الحديث فوائد منها: ترك بعض الاختيار مخافة أن يقصر عنه فهم بعض الناس، والمراد بالاختيار المستحب.

وفيه: اجتناب ولي الأمر ما يتسرع الناس إلى إنكاره، وما يخشى منه تولد الضرر عليهم في دين أو دنيا، وتالف قلوبهم بما لا يترك فيه أمر واجب.

وفيه: تقديم الأهم فالمهم من دفع المفسدة وجلب المصلحة، وأنهما إذا تعارضا بدئ بدفع المفسدة، وأن المفسدة إذا أمن وقوعها عاد استحباب عمل المصلحة.

وفيه: حديث الرجل مع أهله في الأمور العامة (يقصد حديث النبي ﷺ لأم المؤمنين عائشة)، وفيه: حرص الصحابة على امتثال أوامر النبي ﷺ. [فتح الباري]

وقال الإمام النووي: وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام، منها:

إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة، وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم عليه السلام مصلحة، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة من أسلم قريبًا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة فيرون تغييرها عظيمًا.

[صحيح مسلم بشرح النووي]

**فائدة:** في الحديث قال النبي ﷺ: «لولا أن قومك حديثُ عهد بجاهلية» بإفراد حديث وهي صفة قوم، والقوم جمع.

قال السيوطي في حاشية النسائي: ويمكن أن يوجه بأن لفظ القوم مفرد لفظًا وجمع معنى، فروعي إفراد اللفظ في جانب الخبر، كما روعي اللفظ في إرجاع الضمير في قوله تعالى: ﴿كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ﴾ حيث أفرد آتت. [تحفة الأحوذي شرح سنن الترمذي]

قال النووي: قال العلماء: بني البيت خمس مرات، بنته الملائكة، ثم إبراهيم عليه الصلاة والسلام، ثم قريش في الجاهلية، وحضر النبي ﷺ هذا البناء وله خمس وثلاثون سنة، وقيل: خمس وعشرون سنة، وفيه سقط على الأرض حين رفع إزاره، ثم بناه الزبير، ثم الحجاج بن يوسف، واستمر إلى الآن (عطي النووي) على بناء الحجاج، وقيل بني مرتين أخريين أو ثلاثًا.

قال العلماء: ولا يغير عن هذا البناء، وقد ذكروا أن هارون الرشيد سأل مالك بن أنس عن هدمها وردها إلى بناء ابن الزبير للأحاديث المذكورة في الباب.

فقال مالك: نشدتك بالله يا أمير المؤمنين أن لا تجعل هذا البيت لعبة للملوك، لا يشاء أحد إلا نقضه وبناه، فتذهب هيبته من صدور الناس. [تحفة الأحوذي]

وقد استخدم الإمام مالك قاعدة: درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة، وهي ذات القاعدة المستنبطة من حديث النبي ﷺ عن هدم الكعبة وإعادة بنائها، فأفتى هارون الرشيد بأن ترك مصلحة هدم الكعبة وإعادتها على قواعد إبراهيم عليه الصلاة والسلام، يؤخر عن مفسدة ذهاب هيبة الكعبة من قلوب المسلمين.

-وعن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: إن رسول الله ﷺ قال: إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صَلَّوْا. [أخرجه مسلم وغيره]

قال ابن القيم: إن النبي ﷺ شرع لأمته إيجاب إنكار المنكر ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله، فإن كان إنكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه، وأبغض إلى الله ورسوله، لا يسوغ إنكاره، وإن كان الله تعالى يبغضه ويمقت أهله، وهذا كالإنكار على الملوك والولاة بالخروج عليهم، فإنه أساس كل شر وفتنة إلى آخر الدهر. [إعلام الموقعين]

فمفسدة الفتنة التي تتأتى من الخروج على الحكام تقدم على مصلحة تغيير الحاكم بحاكم طائع لله ورسوله.

-وعن بُسر بن أرطاة- رضي الله عنه- قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تقطع الأيدي في الغزو». [أخرجه أبو داود، والنسائي، والترمذي، ورواية النسائي: في السفر بدلاً من الغزو، وقوى إسناده الحافظ في الإصابة، وصححه الشيخ الألباني في صحيح أبي داود والنسائي والترمذي]

فمصلحة تطبيق حدود الله التي أمر بها، أُخِّرَت عن مفسدة لحوق صاحب الحد بالمشركين حمية وغضبًا.

-عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: إن رسول الله ﷺ لعن زوَّارت القبور. [أخرجه الترمذي وابن ماجه وابن حبان وغيرهم]

● **فوائد:**

١- هذا الحديث اختلف أهل العلم فيه بين تحسينه وضعفه، فمنهم من ضعفه بطرقه كلها، ومنهم من حسنه، ومال الشيخ الألباني إلى تحسينه في كتاب أحكام الجنائز.

٢- زيارة النساء للمقابر، اختلف فيها أهل العلم على أقوال ثلاثة:

القول الأول: الجواز.

القول الثاني: الكراهة، وهؤلاء حاولوا التوفيق بين أدلة القائلين بالجواز والقائلين بالمنع.

القول الثالث: المنع. ولعل أرجح الأقوال- إن شاء الله- القول بالجواز، لأن أدلة القائلين بالمنع ضعيفة ولا تخلو من مقال.

٣- على تقدير صحة الحديث، فإن لفظة «زوارت» إنما يدل على لعن النساء اللاتي يكثرن الزيارة، بخلاف غيرهن فلا يشملهن اللعن، فلا يجوز حينئذ أن يعارض بهذا الحديث الأحاديث الدالة على استحباب الزيارة للنساء.

قال القرطبي: اللعن المذكور في الحديث إنما هو للمكثرات من الزيارة لما تقتضيه الصيغة من المبالغة، ولعل السبب ما يفضي إليه ذلك من تضييع حق الزوج والتبرج، وما ينشأ من الصياح ونحو ذلك، وقد يقال: إذا أمن جميع ذلك فلا مانع من الإذن لهن، لأن تذكر الموت يحتاج إليه الرجال والنساء.

قال الشوكاني في نيل الأوطار: وهذا الكلام هو الذي ينبغي اعتماده في الجمع بين أحاديث الباب المتعارضة في الظاهر.

وإلى هذا الجمع أيضًا ذهب الصنعاني في سبل السلام. [أحكام الجنائز للألباني، فتح الباري، الآداب الشرعية للنساء في زيارة المقابر: لعمرو عبد المنعم]

فنهى النبي ﷺ النساء عن الإكثار من زيارة القبور رغم ما فيها من مصلحة ظاهرة، كترقيق القلوب والتذكير بالآخرة.

يقول ابن القيم: أما النساء فإن هذه المصلحة (زيارة القبور) وإن كانت مطلوبة منهن، لكن ما يقارن زيارتهن من المفاسد التي يعلمها الخاص والعام، من فتنة الأحياء، وإيذاء الأموات، والفساد الذي لا سبيل إلى منعه إلا بمنعهن، أعظم مفسدة من مصلحة يسيرة تحصل لهن بالزيارة، والشريعة مبناها على تحريم الفعل إذا كانت مفسدته أرجح من مصلحته، ورجحان هذه المفسدة لا خفاء به، فمنعهن من الزيارة من محاسن الشريعة. [تهذيب السنن نقلاً عن قواعد إعلام الموقعين، مع الأخذ في الاعتبار أن ابن القيم ممن يقولون بمنع النساء من زيارة المقابر، وقد ذكرنا أن الراجح هو الجواز، والله أعلم.

## ثالثًا: من فروع القاعدة وتطبيقاتها في المعاملات:

منها: يمنع الشخص من التصرف في ملكه إذا كان تصرفه يضر بجاره ضررًا فاحشًا، لأن درء المفاسد عن جاره أولى من جلب المنافع لنفسه.

ومنها: الحجر على السفيه.

ومنها: ليس للإنسان أن يفتح كوة تشرف على مقر نساء جاره، بل يكلف أن يتخذ فيها ما يقطع النظر.

ومنها: كذلك ليس له أن يحدث في ملكه ما يضر بجاره ضررًا فاحشًا بينًا كاتخاذه بجانب دار جاره طاحونًا مثلاً يوهن البناء أو كنيفًا(٢) أو بالوعة تضر بجدار دار جاره.

ومنها: اتخاذ الشخص في داره فرنًا يمنع جاره من السكنى في داره بسبب الرائحة والدهان. [الوجيز في شرح القواعد الفقهية د. عبد الكريم زيدان]

وإذا كان الضرر لا يزول إلا برفعه بالمرة فإنه يرفع (المادة ١٢١٢ من مجلة الأحكام العدلية)، وإن كان لمحدثه منفعة في إبقائه لأن درء المفاسد أولى من جلب المنافع.

وجواز الكذب بين المتعادين للإصلاح (هذا ورد في حديث للنبي ﷺ من أنواع الكذب الثلاثة الجائزة، وهي: الكذب في الحرب، وكذب الرجل على امرأته، طلبًا لحسن معاشرتها، والكذب بين المتخاصمين للإصلاح)، [شرح القواعد الفقهية لأحمد الزرقا]

## رابعًا: نظائر للقاعدة:

### ١- تحصيل أعلى المصلحتين وإن فاتت أدناهما:

يقول ابن القيم: إن الشريعة مبناها على تحصيل المصالح بحسب الإمكان، وأن لا يفوت منها شيء، فإن أمكن تحصيلها كلها حصلت، وإن تزاحمت ولم يمكن تحصيل بعضها إلا بتفويت البعض، قدم أكملها وأهمها وأشدها طلبًا للشارع.

[مفتاح دار السعادة عن القواعد الفقهية لإعلام الموقعين]

ومما يشهد لذلك ويقويه ما رواه أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة، فأفضلها قول: لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان». [متفق عليه]

فقد دل الحديث على أن المصالح التي أتى بها هذا الدين، متفاوتة في العلو والرتبة، فإذا كان أعلاها متمثلاً في شهادة التوحيد، وأدناها متمثلاً في إماطة الأذى عن الطريق، فإن ما بين هذين الطرفين من المصالح متدرج في العلو والنزول بينهما حسب مدى القرب والبعد إلى كل منهما.

ومن فروع ذلك: إن تمليك مصلحة الرجال الطلاق أعلى وأكبر من مصلحة سدّه عليهم.

ومنها: أن السَّمر بعد العشاء ذريعة إلى تفويت قيام الليل، فإن عارضه مصلحة راجحة كالسَّمر في العلم ومصالح المسلمين لم يكره.

ومنها: تأخير الحدّ لمصلحة راجحة، إمَّا من

حاجة المسلمين إلى المحدود، أو من خوف ارتداده ولحوقه بالكفار، وتأخير الحد لعارض أمر وردت به الشريعة، كما يؤخر عن الحامل والمرضع، وعن وقت الحر والبرد والمرض، فهذا لمصلحة المحدود، فتاخيره لمصلحة الإسلام أولى.

[إعلام الموقعين، عن القواعد الفقهية المستخرجة منه]

٢- دفع أعلى المفسدتين وإن وقع أدناهما:

يقول ابن القيم في الإعلام: إن حكمة الشارع 'اقتضت رفع الضرر عن المكلفين ما أمكن، فإن لم يمكن رفعه إلا بضرر أعظم منه، بقّاه على حاله، وإن أمكن رفعه بالتزام ضرر دونه رفعه به.

ومن شواهد ذلك في الكتاب، قوله تعالى: ﴿وَالْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقدم الكفر على قتل النفس.

وقوله تعالى- حكاية عن الخضر مع موسى عليهما السلام في السفينة التي خرقها الخضر: ﴿أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ﴾ [الكهف: ٧٩].

فدفع المفسدة الأكبر وهي غصب الملك السفن بمفسدة أخف وهي خرق السفينة، وكذلك دفع المفسدة الأكبر ، وهي إرهاق الوالدين طغيانًا وكفرًا بمفسدة أقل وهي قتل الولد.

والنبي ﷺ في صلح الحديبية صالح المشركين ببعض ما فيه ضيم على المسلمين للمصلحة الراجحة ودفع ما هو شر منه. [فتاوى ابن تيمية- زاد المعاد- القواعد المستخرجة].

-ومن ذلك إنكار المنكر على مرتكبه، فإن الإنكار يحتاج إلى فقه وإلى علم، حتى لا يُزال ضرر أصغر بضرر أكبر، فإنكار المنكر أربع درجات:

**الأولى:** أن يزول المنكر ويخلفه ضده من معروف.

**الثانية:** أن يقل المنكر وإن لم يزل بالكلية.

**الثالثة:** أن يخلف المنكر ما هو مثله.

**الرابعة:** أن يخلف المنكر ما هو شرٌّ منه.

فالدرجتان الأولى والثانية مشروعتان، والثالثة موضع اجتهاد، والرابعة محرمة يقول ابن القيم في الإعلام: فإذا رأيت أهل الفجور والفسوق يلعبون بالشطرنج، كان إنكارك عليهم من عدم الفقه والبصيرة إلا إذا نقلتهم منه إلى ما هو أحب إلى الله ورسوله، كرمي النشّاب، وسباق الخيل ونحو ذلك.

ومن أمثلة ذلك: رجل به جرح، ولو سجد سال جرحه (دمه)، وإن لم يسجد لم يسل، فإنه يصلي قاعدًا ويومئ بالركوع ولا يسجد، لأن ترك السجود أهون من الصلاة مع الحدث، ألا ترى أن ترك السجود جائز حال الاختيار في التطوع على الدابة، ومع الحدث لا يجوز بحال.

ومنها: لو اضطر وعنده ميتة ومال الغير ياكل الميتة.

ومنها: لو أن امرأة صلت قائمة ينكشف من عورتها ما يمنع جواز الصلاة، ولو صلت قاعدة لا ينكشف منها شيء، فإنها تصلي قاعدة، لأن ترك القيام أهون فهو يجوز في حالة الاختيار في النفل، لكن كشف العورة لا يجوز بحال.

ومنها: تجويز أخذ الأجرة على ما دعت إليه الضرورة من الطاعات كالأذان والإقامة وتعليم القرآن والفقه.

ومنها: تجويز السكوت على المنكر إذا كان يترتب على إنكاره ضرر أعظم من ضرر المنكر.

ومنها: جواز طاعة الأمير الجائر إذا كان يترتب على الخروج عليه شر أعظم.

ومنها: جواز شق بطن الميتة لإخراج الولد إذا كان ترجى حياته.

ومنها: قتل من لا ذنب له من المسلمين إذا تترس بهم الكفار ( جعلوهم ساترًا لهم) وخيف من ذلك اصطلام المسلمين جاز قتلهم، لأن قتل عشرة من المسلمين أقل مفسدة من جميع المسلمين.

ومنها: إذا اختبأ عنده معصوم فرارًا من ظالم يريد قتله ظلمًا، فإذا سأله الظالم عنه ونفى وجوده عنده أو علمه بمكانه جاز له الكذب ولو فيه مفسدة، بل يجب عليه الكذب لأن مفسدة قتل بريء أعظم من مفسدة الكذب في هذا المقام. [قواعد الأحكام للعز بن عبد السلام]

٣- يختار أهون الشرين: يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: ليس الفقيه هو من عرف الخير من الشر، إنما الفقيه هو الذي يختار خير الخيرين وشر الشرين.

فمن ابتلي ببليتين وهما متساويتان يأخذ بايتهما شاء، وإن اختلفتا يختار أهونهما. مثال لتساوى الشرين: لو حدث حريق في سفينه وعلم انه لو صمد فيها يحترق ولو وقع في الماء يغرق، فعند أبي حنيفة يختار أيهما شاء.

ومثال اختلافهما : لو أحاط الكفار بالمسلمين ولم يقدروا على دفعهم، جاز دفع المال إليهم ليتركوهم، وكذا استنقاذ الأسرى من المسلمين بالمال إذا لم يمكن بغيره؛ لأن دفع المال أهون الضررين. والله تعالى أعلى وأعلم.

**الهوامش:**

(١) ينهنهها: يكفُّها.

(٢) كنيف: حمَّام.

# دروس تربوية من

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

ففي تاريخ الأفراد والأمم والجماعات أحداث لها أثرها ودورها البالغ في تغيير دفة الحياة وتاريخ أمتنا- التي نعتز بها ونفتخر- يزخر بالأحداث العظام التي غيرت وجه التاريخ، ولعل من أبرزها وأعظمها أثرًا على الإطلاق في حياة الأمة حادث الهجرة المباركة، فالهجرة لم تكن حدثًا عاديًا ولا عابرًا كغيره من أحداث التاريخ، بل كانت بمثابة محور الارتكاز ونقطة الانطلاق والتحول، والحد الفاصل في مصير هذا الدين العظيم ومساره، وإيذانًا بميلاد فجر جديد لدولة التوحيد، أشرق على الكون نوره بعد مخاض ليل طال على الأتباع معاناته وآلامه.

ونظرًا لهذه المكانة السامية التي تبوأتها الهجرة النبوية واحتلتها كأعظم حدث في تاريخ الدعوة الإسلامية، فقد اعتبره المسلمون الأوائل معلمًا بارزًا من أهم معالم حضارتهم، فأرخوا به لأحداثهم ووقائعهم، ولم يؤرخوا بتاريخ غيرهم، حفاظًا على هويتهم واستقلالهم وتميزهم.

وحَدَثٌ هذا شأنه حري بنا وجدير أن نقف على معانيه، نستلهم منه الدروس والعظات والعبر.

**أولاً: الهجرة سنة ماضية:**

فبهذه الهجرة تمت لرسولنا ﷺ سنة إخوانه من الأنبياء، فما من نبي منهم إلا نَبَتْ به بلاد نشأته وأخرجه أهلها فهاجر عنها من لدن إبراهيم عليه السلام أبي الأنبياء وخليل الله، إلى عيسى كلمة الله وروحه، كلهم على عظيم درجاتهم ورفعة مقامهم- أهينوا من عشائرهم، فصبروا ليكونوا مثالاً لمن يأتي بعدهم من متبعيهم في الثبات والصبر على المكاره ما دام ذلك في ذات الله.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا﴾ [إبراهيم: ١٣]، وقال تعالى عن قوم لوط: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلاَّ أَن قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ﴾ [النمل: ٥٦]، وقال تعالى عن نبينا ﷺ: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾ [الأنفال: ٣٠].

ولذلك قال ورقة بن نوفل للنبي ﷺ: «ليتني فيها جذع ليتني أكون حيًا إذ يخرجك قومك». فقال رسول الله ﷺ: «أوَ مخرجي هم؟» قال: نعم؛ لم يأت رجلٌ قط بمثل ما جئت به إلا عودي».

[الحديث رواه البخاري (١/ ٣٠، ٣١)]

**ثانيًا: في الهجرة تأمين للدعوة وحماية للدين:**

فالنبي ﷺ لم يخرج من بين قومه إلا بعد أن تمالأ المشركون على قتله، منعًا له من الدعوة إلى الحق، كما أوصلوا إليه ما لا يحتمله غيره من الأذى، وفي هذا عبرة لمن دعا إلى دينه أن يصبر على أذى المدعوين، حتى يخشى على نفسه الهلاك فيفر بدينه إلى حيث يرجو أن تثمر دعوته.

فحيثما كان العبد في مكان لا يتمكن فيه من إظهار دينه، فإن له متسعًا وفسحة من الأرض يتمكن فيها من عبادة الله.

# الهجرة النبوية

إعداد
معاوية محمد هيكل

**هجرة الموحدين المضطهدين.. جهاد لا فرار:**

فهجرة الموحدين المضطهدين بدينهم في كل زمان ومكان ليست هروبًا ولا نكوصًا ولا هزيمة، إنما هو تربص بأمر الله، حتى يأتي أمر الله.

فقد خرج أصحاب الكهف من الدنيا على رحابتها إلى كهف ضيق فرارًا بدينهم، واعتزالاً للشر وأهله، وخروجًا من الواقع السيئ، وطلبًا للسلامة، فكانت هجرتهم محمودة ومشروعة، وكذلك فعل الصحابة رضوان الله عليهم هاجروا من مكة إلى الحبشة مرتين، ثم هاجروا إلى المدينة تاركين أوطانهم وأرضهم وديارهم وأهاليهم، رجاء السلامة بالدين والنجاة من فتنة الكافرين.

**دروس للدعاة**

لذلك فإن الهجرة تعلمنا درسًا هامًا، وهو كيف أن على الدعاة إلى الله أن يبحثوا دائمًا عن أماكن خصبة للدعوة.

**ثالثًا: العقيدة هي الدافع والأساس:**

أثبتت الهجرة النبوية أن الدعوة والعقيدة يتنازل لهما عن كل حبيب وعزيز وأليف وأنيس، وعن كل ما جبلت الطباع السليمة على حبه وإيثاره والتمسك به والتزامه، ولا يتنازل عنهما لشيء.

وقد كانت مكة- فضلاً عن كونها مولدًا ومنشأ للرسول ﷺ وأصحابه- مهوى الأفئدة والقلوب ففيها الكعبة البيت الحرام الذي جرى حبه منهم مجرى الروح والدم، ولكن شيئًا من ذلك لم يمنعه وأصحابه من مغادرة الوطن ومفارقة الأهل والسكن حين ضاقت الأرض على هذه الدعوة والعقيدة وتنكر لها أهلها، وقد تجلت هذه العاطفة المزدوجة عاطفة الحنين الإنساني وعاطفة الحب الإيماني في كلمته التي قالها مخاطبًا مكة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله ولولا أني أخرجت منك ما خرجت». [صحيح الترمذي: ٣٠٨٢]. وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ [العنكبوت: ٥٦].

**رابعًا: معية الله وحفظه وتأييده لأنبيائه وأوليائه:**

قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لاَ تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ٤٠]، فالله عز وجل أرحم بنبيه وصاحبه من أن يجعلهما نهبًا لعدوهما، كما تؤكد الآية كذلك حماية الله لنبيه ﷺ ونصره وتأييده حين تخلت عنه قوة الأرض، والجنود التي يخذل بها الباطل وينصر بها الحق ليست مقصورة على نوع معين من السلاح ولا صورة خاصة من الخوارق، إنها أعم من أن تكون مادية أو معنوية، وإن كانت مادية فإن خطرها لا يتمثل في فخامتها، فقد تفتك جرثومة لا تراها العين بجيش عظيم، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلاَّ هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

فتعمية أبصار المشركين عن رؤية النبي ﷺ وصاحبه في غار «ثور» وهم عنده، مثل تخشع له القلوب من أمثلة عناية الله بأنبيائه ورسله ودعاته وأحبائه، فما كان الله ليوقع رسوله ﷺ في قبضة المشركين، فيقضوا عليه وعلى دعوته، وهو الذي أرسله الله رحمة للعالمين، وليس في نجاة الرسول ﷺ وصاحبه بعد أن أحاط بهما المشركون في غار ثور إلا تصديق قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [الحج ٣٨].

فالدعاة إلى الله بحاجة دائمًا إلى أن يكون راسخًا في أعماقهم عون الله لهم حين تعجز قوتهم البشرية عن إدراك ما يخطط لهم العدو بعد استنفاد الطاقة واستفراغ الوسع، وأن تكون لديهم القناعة التامة، أن النصر أولاً وأخيرًا من عند الله. قال تعالى: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ﴾ [آل عمران:١٢٦].

**خامسًا: يتجلى في الهجرة بروز عنصر التخطيط وأهميته في حياة المسلمين:**

فكان الهدف محددًا والوسائل كذلك والعقبات مأخوذة بالحسبان واختيار الطريق والمكان والتموين ومن يحمل الأخبار والدليل، كل ذلك مُؤَمَّنٌ مع إحاطة ذلك بالسرية والحيطة والحذر، وكل ذلك ينبئ عن تخطيط وتنظيم وترتيب لا مثيل له.

**الأخذ بالأسباب والتوكل على الله**

فالأخذ بالأسباب مطلوب ومشروع ولا ينافي ذلك الإيمان والتوكل على الله، فعدم الأخذ بالأسباب قدح في التشريع، والاعتماد على الأسباب قدح في التوحيد، لذلك فإن النبي ﷺ قد أحكم خطة هجرته وأعد عدته، فأعد الراحلتين وترك عليًا مكانه، وسلك الطريق الجنوبي للتغرير بالمشركين، واستأجر ماهرًا خبيرًا يدله على الطريق، وكانت أسماء رضي الله عنها تأتيهما بالطعام، ودخل غار ثور، فعل ذلك وهو النبي المؤيد من ربه.

فشأن المؤمن مع الأسباب المعتادة أن يقوم بها كأنها كل شيء في الحياة، ثم يتوكل بعد ذلك على الله، لأن كل شيء لا قيام له إلا بإذن الله، فإذا استفرغ المرء جهده في أداء واجبه فأخفق بعد ذلك، فإن الله لا يعاقبه على هزيمة بلي بها، وكثيرًا ما يرتب الإنسان مقدمات النصر ترتيبًا حسنًا، ثم يجيء عون الله أعلى فيجعل هذا النصر مضاعف الثمار.

**سادسًا: التضحية والفداء:**

ومن دروس الهجرة: أن الجندي الصادق المخلص لدعوة الإصلاح يفدي قائده بحياته، ففي سلامة القائد سلامة للدعوة، وفي هلاكه خذلانها ووهنها، فما فعله علي رضي الله عنه ليلة الهجرة في بياته على فراش رسول الله ﷺ تضحية بحياته في سبيل الإبقاء على حياة رسول الله ﷺ ؛ إذ كان من المحتمل أن تهوي سيوف فتيان قريش على رأس علي رضي الله عنه انتقامًا منه، لأنه سهل للرسول ﷺ النجاة، ولكن عليا لم يبال بذلك، فحسبه أن يسلم رسول الله ﷺ نبي الأمة وقائد الدعوة.

وكذلك موقف أبي بكر رضي الله عنه، فقد تجلى من معاملته لرسول الله ﷺ الحب الصادق والتضحية بالنفس، وتجلى هذا في دخول الغار وعند الخروج منه وفي الطريق حينما كان يمشي تارة خلفه، وتارة أمامه، وتارة عن يمينه.

وهذه أمثلة في التضحية والفداء يندر أن نرى لها في الدنيا نظيرًا، ولكنه الإيمان إذا خالطت بشاشته القلوب.

**سابعًا: مظاهر محبة النبي ﷺ واستقبال أهل المدينة له:**

تكشف لنا الصورة التي استقبلت بها المدينة رسول الله ﷺ عن مدى المحبة الشديدة التي كانت تفيض بها أفئدة الأنصار من أهل المدينة رجالاً ونساءً وأطفالاً.

قال ابن القيم رحمه الله واصفًا هذه المشاعر النبيلة: وبلغ الأنصار مخرج رسول الله ﷺ من مكة، وقصده المدينة، وكانوا يخرجون كل يوم إلى الحرة ينتظرونه أول النهار، فإذا اشتد حر الشمس، رجعوا على عادتهم إلى منازلهم، فلما كان يوم الاثنين ثاني عشر ربيع الأول على رأس ثلاث عشرة سنة من النبوة، خرجوا على عادتهم، فلما حمي حر الشمس رجعوا، وصعد رجلٌ من اليهود على أطم من آطام المدينة لبعض شأنه فرأى رسول الله ﷺ وأصحابه، مُبيَّضين، يزول بهم السراب، فصرخ بأعلى صوته: يا بني قيلة، هذا صاحبكم قد جاء، هذا جدكم الذي تنتظرونه، فبادر الأنصار إلى السلاح ليتلقوا رسول الله ﷺ، وسُمعت الرجة والتكبير في بني

عمرو بن عوف، وكبّر المسلمون فرحًا بقدومه، وخرجوا للقائه، فتلقوه وحيوه بتحية النبوة، فأحدقوا به مُطيفين حوله، والسكينة تغشاه، والوحي ينزل عليه: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴾ [التحريم: ٤]. [زاد المعاد ٥٢/٣]

### ثامنًا: الأخوة الصادقة وأمثلة نادرة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

ففي مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار أقوى مظهر من مظاهر عدالة الإسلام الإنسانية والأخلاقية البناءة، فالمهاجرون قوم تركوا في سبيل الله أموالهم وأراضيهم، فجاءوا إلى المدينة لا يملكون من حطام الدنيا شيئًا، والأنصار قوم أغنياء بزروعهم وأموالهم وصناعتهم، فكان أن حمل الأخ أخاه، واقتسم معه سراء الحياة وضراءها، وأنزله في بيته، وأعطاه شطر ماله، فأية أخوة في الدنيا تعدل هذه الأخوة.

لذلك أثنى رسول الله ﷺ على الأنصار ثناءً عظيمًا بعد ثناء الله عليهم فقال: «لولا الهجرة لكنت امرءًا من الأنصار». [البخاري: ٣٧٧٩]، وقال أيضًا: «لو سلكت الأنصار واديًا أو شعبًا لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم». [البخاري: ٣٧٧٨].

### تاسعًا: الهجرة والإصلاح المنشود:

قال العلامة محب الدين الخطيب: لو أننا فهمنا الحكمة التي انطوت عليها حادثة الهجرة، وعلمنا أن كتاب الله الذي نتلوه قد أنحى باللائمة على جماعة من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا في مكة يصلون ويصومون ولكنهم ارتضوا البقاء تحت جناح أنظمة تخالف الإسلام، فلا قوة لهم على تغييرها، ولم يهاجروا إلى قلعة الإسلام ليكونوا من جنوده، لعلمنا أن الإسلام لا يكتفي من أهله بالصلاة والصوم، بل يريد منهم مع ذلك أن يقيموا شرائعه وآدابه في بيوتهم وأسواقهم وأنديتهم، ومجامعهم ودواوين حكمهم، وأن عليهم أن يتوسلوا بجميع الوسائل المشروعة لتحقيق هذا الغرض الإسلامي بادئين به من البيت وملاحظين ذلك في تربية من تحت أمانتهم من بنين وبنات، ومتعاونين عليه مع من ينشد للإسلام الرفعة والازدهار من إخوانهم، حتى إذا عم هذا الإصلاح أرجاء واسعة تلاشت تحت أشعته ظلمات الباطل، فكان لهذا الأسلوب من أساليب الهجرة مثل هذه الآثار التي كانت لهجرة النبي ﷺ وأصحابه الأولين.

روى مسلم في كتاب الإمارة من صحيحه عن أبي عثمان النهدي أن مجاشع بن مسعود السلمي قال: جئت بأخي أبي معبد إلى رسول الله ﷺ بعد الفتح فقلت: يا رسول الله، بايعه على الهجرة، فقال عليه الصلاة والسلام: «قد مضت الهجرة بأهلها». قال مجاشع: فبأي شيء تبايعه؟ قال: على الإسلام والجهاد والخير. قال أبو عثمان النهدي: فلقيت أبا معبد فأخبرته بقول مجاشع فقال: صدق.

وفي كتب السنة وبعضه في الصحيحين عن عبد الله بن عمرو بن العاص وفضالة بن عبيد بن ناقد الأنصاري أن النبي ﷺ قال: «المهاجر من هجر السيئات». فإلى الهجرة أيها المسلمون، إلى هجر الخطايا والذنوب إلى هجر ما يخالف تعاليم الإسلام في بيوتنا، وما نقوم به من أعمالنا، إلى هجر الضعف والبطالة والإهمال والترف والكذب والرياء ووضع الأشياء في غير موضعها. [من إلهامات الهجرة: ص١١- ١٤]

فهل تأخذ الأمة من دروس الهجرة زادًا إيمانيًا تستعيد به مجدها المفقود، وهل نسترد دور الهجرة في حياتنا لنستأنف دورنا المنشود في قيادة البشرية من جديد، هذا ما نأمله ونرجوه.

نسأل الله أن يوفقنا لسلوك سبيل المؤمنين، وأن يعز الله بنا الدين كما أعزه بالسابقين الأولين من الأنصار والمهاجرين، وأن يجمعنا بهم مع سيد الأولين والآخرين يوم يقوم الناس لرب العالمين.

ركن الأسرة

# الأسرة المسلمة في ظلال التوحيد

إعداد الشيخ / جمال عبد الرحمن

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه... وبعد:

فإن الله سبحانه خلق الناس من ذكر وأنثى وجعل من أنفسهم أزواجًا، وجعل لهم من أزواجهم بنين وحفدة، وأمر بالشكر على هذه النعم، فكل ذلك من إنعام الله تعالى على عباده، قال جل شأنه: ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَاجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ﴾ [النحل].

فالأسرة المسلمة زوج وزوجة، وبنون وحفدة، والجميع ينعم بنعمة الله تعالى ويحيا الحياة الطيبة ويأكل من رزقه: ﴿كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ [سبأ].

والقائم على أمر هذه الأسرة المسئول عن دنياهم وأخراهم هو الأب الذي جعل الله تعالى القوامة إليه: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ وَبِمَا أَنفَقُوا مِنْ أَمْوَالِهِمْ﴾ [النساء]، «والرجل راعٍ في أهله وهو مسئول عن رعيته». هذا الراعي مسئول عن تعليم أهله وولده التوحيد الخالص، والطاعة لله القوي القاهر، والخضوع لأمره سبحانه وطاعة رسوله ﷺ.

وحثهم على ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، وتجنيبهم ما يضرهم أيضًا في دينهم ودنياهم، كذلك عليه أن يعلمهم الحرص على صلاح القلوب فإنها أوعية التقوى، وأن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح سائر الجسد وإذا فسدت فسد سائر الجسد.

أيها المربي:

إن أي إنسان إذا علم بأي مرض عضوي في مضغة قلبه كارتخاء شريان أو انسداده أو خفقان أو ثقب في جدار القلب؛ فإنه يفزع من ذلك فزعًا شديدًا ويسارع بكل ما أوتي إلى التداوي من هذا المرض المفزع رغم أنه قد يعيش أعوامًا عديدة على حاله هذا دون خطر على عقله وسلوكه، لكن العجيب أن يصاب القلب بأخبث الأمراض وأشدها فتكًا وتأثيرًا على السلوك والخلق والعبادة والمعاملة، ثم لا يسعى إلى إصلاح ما فسد منه وعرضه للهلاك والخطر، ولو تأملنا سير الأولين في ترقب تغيرات القلب والتربص لما يطرأ عليه من علل وأمراض لوجدنا عجبًا.

يقول عمرو بن ميمون بن مهران: خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة، فمررت بجدول، فلم يستطع الشيخ أن يتخطاه، فاضطجعت له فمر على ظهري، ثم قمت فأخذت بيده فدفعنا إلى

منزل الحسن، فطرقت الباب، فخرجت جارية فقالت: مَن هذا؟ فقلت: هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن، فقالت: ميمون بن مهران كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: يا شقي؛ ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا، ثم دخلا، فقال ميمون: يا أبا سعيد؛ إني قد آنستُ من قلبي غلظة، فاستَلِنْ لي ( يعني صِف لي شيئًا يليِّن قلبي)، فقرأ الحسن: بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِن مَّتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ (٢٠٥) ثُمَّ جَاءَهُم مَّا كَانُوا يُوعَدُونَ (٢٠٦) مَا أَغْنَى عَنْهُم مَّا كَانُوا يُمَتَّعُونَ﴾ [الشعراء]، قال عمرو: فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله ما تفحص الشاة المذبوحة، فأقام طويلاً ثم أفاق (يعني أغمي عليه ثم أفاق )، فجاءت الجارية فقالت: قد أتعبتم الشيخ ( تعني الحسن )؛ قوموا تفرقوا، فأخذتُ بيد أبي فخرجتُ به، ثم قلت له: يا أبتاه؛ هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكثر من هذا، قال: فوكز أبي في صدري وقال: يا بني، لقد قرأ علينا آية لو تفهمتَها بقلبك لأُلفِيَ لصافيه كلوم (أي جروح)، يعني: لو تدبرت هذه الآية وفهمتها لشقت كبدك وجرحت قلبك. [تهذيب الكمال: ٢٢٥/٢٩].

فسبحان الله، انظروا كيف تأثر ذلك الشيخ بكلام الجارية وبكى وهي تقول له: ما أبقاك إلى هذا الزمان السوء؟ فبكى أنه عاش حتى أدرك الشر فقسا قلبه، وانظروا إليه كيف غُشِيَ عليه عند سماع هذه الآيات العظيمة من كتاب الله فسقط على الأرض وهو يفحص برجله كالشاة المذبوحة، والعجيب أنه جاء يشكو للحسن أنه آنس من قلبه غلظة، وجاء يطلب مُلَيِّنًا لقلبه، وانظروا إلى سرعة استجابة قلبه للدواء الشافي- القرآن العظيم- إنها قلوب حية سليمة: ﴿يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ (٨٨) إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء]، ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَابِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر].

أيتها المربية:

هل تحبين رسول الله ﷺ؟ وما معنى هذا الحب في عقيدتك؟ ينبغي أن يكون هذا الحب مفضيًا إلى طاعته ﷺ والاستجابة لأمره، فلقد كانت نساء السلف رضوان الله على الجميع تحب النبي ﷺ حبًا يفضي إلى فدائه بالنفس والنفيس، فها هي أم عمارة رضي الله عنها تقول: رأيتني وانكشف الناس عن رسول الله ﷺ يوم أحد، فما بقي إلا نفر قليل ما يتمون عشرة، وأنا وابناي وزوجي بين يديه نَذُبُّ عنه (أي ندافع عنه) والناس يمرون منهزمين، ورآني ولا تُرسَ معي- وهو درع يحمي المقاتل من الضربات- فرأى رجلاً موليًا- هاربًا- ومعه تُرس، فقال له النبي ﷺ: «ألق ترسك إلى مَنْ تقاتل»، فألقاه فأخذته فجعلتُ أُتَرِّس به عن رسول الله ﷺ، وإنما فعل بنا الأفاعيل أصحاب الخيل، لو كانوا رَجَّالة (أي على أرجلهم مثلنا) أصبناهم إن شاء الله، فيُقبل رجل على فرس فيضربني، وترّستُ له بالدرع فلم يصنع شيئًا وولى، فاضرب عرقوب فرسه فوقع على ظهره فجعل النبي ﷺ يصيح: يا ابن أم عمارة، أمك، أمك، أي: أدركها وعاونها على قتل الرجل، قالت: فعاونني عليه حتى أوردته شَعُوب (

اسم للموت). [سير أعلام النبلاء: ٢/ ٢٧٩].

ما شاء الله.

ولو كان النساء كمن ذُكِرْن
لفُضِّلَتِ النساءُ على الرجالِ

ولكن أيتها المربية، هل تعرفين لماذا هذا الحب كله والفداء كله لرسول الله ﷺ؟ السبب هو إدراك نساء السلف للمنزلة الحقيقية للنبي ﷺ في نفوس المسلمين.

لما فرغ رسول الله ﷺ مِنْ دفْن شهداء أُحد انصرف راجعًا إلى المدينة، فخرجت النساء تتفقد أحوال المسلمين، فمر النبي ﷺ بامرأة من بني دينار، وقد أصيب أي قُتل زوجها وأخوها وأبوها بأُحد، فلما نُعُوا إليها ( أي بُلغت بموتهم ) قالت: فما فعل رسول الله ﷺ؟ قالوا: خيرًا يا أم فلان، هو بحمد الله كما تحبين، قالت: أرونيه حتى أنظر إليه- وكانت لا تعرفه- فأشير إليه حتى إذا رأته قالت: كل مصيبة بعدك جَلل- أي هينة- سبحان الله! تلك المرأة من بني دينار يُقتل زوجها وأخوها وأبوها ولا تبالي وكل همها الاطمئنان على رسول الله ﷺ، فلما رأته بعينها سالمًا معافى سكن روعها وهدأت نفسها، نعم لقد كان أصحاب رسولنا يعرفون حقًا قدره ومنزلته عند الله وعندهم ففدوه بأنفسهم وأزواجهم وآبائهم وإخوانهم، لكن لما ضعُف الإيمان وقلت الهمة وخارت العزيمة تجرأ البعض على أمره ونهيه وعلى سنته، بل على شخصه الجليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل.

**طفلنا المسلم... طفلتنا المسلمة:**

طفلنا الجليل، ألا تحب وترغب أن تكون مثل هؤلاء العظماء؟ ألا تحب معالي الأمور، فإن الله يحبها، قال ﷺ: «إن الله يحب معالي الأمور ويكره سفاسفها». [صحيح الجامع].

وإليك بعض الأمثلة من سلفنا الكرام في طفولتهم لترى الفرق بينك وبينهم في حرصهم على الهمة العالية والرحلة الشاقة الطويلة من أجل العلم الشرعي، فهذا أبو بكر محمد بن يحيى بن إبراهيم، قال عنه أبو الحسن عبد الغافر بن إسماعيل: هو من أظرف المشايخ الذين لقيناهم وأكثرهم سماعًا وأصولاً، بلغ عدد شيوخه ٥٠٠ شيخ، وكان يروي عن قريب من خمسين وسمع مسموعات أبيه، وخرج إلى العراق والحجاز وفارس، وأملى ببغداد مجالس وحضر مجلسه أكثر من ٥٠٠ ,

أما الشيخ تاج الإسلام أبو سعد عبد الكريم التميمي السمعاني المروزي صاحب التصانيف فقد مات أبوه سنة ٥١٠هـ وتربى مع أعمامه وأهله وحفظ القرآن والفقه، ثم حبب إليه هذا الشأن وعني به، ورحل إلى الأقاليم النائية وسمع العلم بأصبهان وبغداد والكوفة ودمشق وبخارى وسمرقند وبلخ، وعمل المعجم في عدة مجلدات، وكان ذكيًا فَهِمًا سريع الكتابة مليحها، درس وأفتى ووعظ وأملى وكتب عمن دب ودرج، وكان ثقة حافظًا حجة واسع الرحلة، عدلاً دينًا جميل السيرة، حسن الصحبة كثير المحفوظ.

قال ابن النجار: سمعت من قال إن عدد شيوخه سبعة آلاف، وهذا شيء لم يبلغه أحد.

وكان مليح التصانيف كثير الأناشيد والنثور، لطيف المزاح ظريفًا حافظًا واسع الرحلة ثقة صدوقًا دينًا، سمع من مشايخه وأقرانه. رحمهم الله جميعًا رحمة واسعة.

**زواج**

تحدثنا في العددين السادس والسابع

لشهري جمادى الآخرة ورجب عن أسس اختيار الأزواج من الرجال والنساء.

واليوم نتحدث عن ثبوت حق المشورة للبنت في اختيار شريك حياتها، فإذا أراد الشاب أن يتزوج أو بلغت البنت سن الزواج، وجاءها خاطب؛ فإن حقها الشرعي أن تستشار، ولا يُلغى حقها في القبول من عدمه، فتُستأذن البكر وتُستأمر الثيب، كما روى ذلك البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُنكح الأيم حتى تُستأمر، ولا تُنكح البكر حتى تُستأذن» قالوا: يا رسول الله؛ وكيف إذنها؟ قال: «أن تسكت». أما الثيب فيحتاج أبوها أو وليها إلى موافقتها الصريحة على الزواج، وهذا معنى قوله: «تُستأمر». والبكر يُطلب منها الإذن بالعقد، ولا تكلف بالجواب الصريح الذي يعبر عن الرضا والموافقة؛ بل يكفي السكوت لأنها تخوض التجربة لأول مرة، وقد تستحي من التصريح، وقد عبَّرت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فقالت: يا رسول الله؛ إن البكر تستحي، فقال: «رضاها صِماتها» أي سكوتها. [رواه البخاري ومسلم]

وإنما ينبغي التأكيد على أن يكون السكوت عن رضا حقيقي، لا عن رفض، وولي الأمر قادرٌ على فهم الحالين، فهو أدرى ببناته. كما أن موافقة ولي الأمر أيضا شرط أساسي في الزواج، فهو أحرص الناس على ابنته أو مولاته، وهو الأعرف بالرجال منها، فموافقته بذلك شرط في النكاح، وعليه أن يتقي الله فيما ولاه الله.

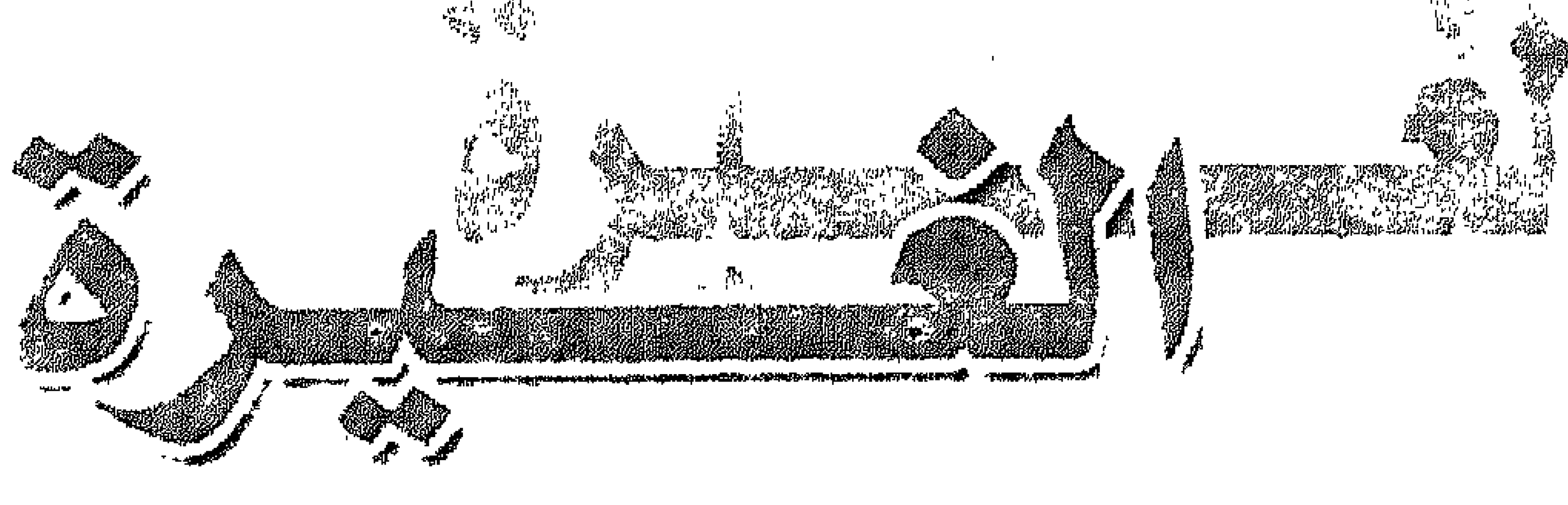
وتُمكن البنت المخطوبة من رؤية خاطبها، وتنظر إليه كما ينظر إليها، فلها الحق في رؤية من سيشاركها حياتها، ويُفهَّم الجميع أحكام الخطبة بعد الموافقة على صاحب الدين والخلق وصاحبة الدين والخلق أيضا، كما يُبيَّن لهم أن الخِطبة والرؤية والنظر إنما هو من أجل المعرفة وحصول الموافقة فقط بين الطرفين، لكن ذلك لا يحل حرامًا ولا يحرِّم حلالا، ولا يُجيز خلوة، أو خروجًا وصحبة، أو اختلاطًا وتعارفًا ودراسة وتجربة وغير ذلك مما يفعله الغاوون. فليتق أهل الملة ربهم في حدود الله وأحكام شريعته.

## محاذير

في الوقت الذي يجوز فيه للزوج ذكر بعض أحواله لمن سيتزوجها ويجوز لها ذلك أيضا إذا لزم الأمر؛ كما قالت فاطمة بنت قيس رضي الله عنها: قال لي رسول الله ﷺ: إذا حللتِ فآذنيني، فخطبها معاوية بن أبي سفيان، وأبو الجهم بن صخير وأسامة بن زيد، فقال رسول الله ﷺ: «أما معاوية فرجل تَرِبٌ لا مال له، وأما أبو الجهم فرجل ضراب للنساء ولكن أسامة فقالت بيدها هكذا: أسامة أسامة: فقال لها رسول الله ﷺ: «طاعة الله وطاعة رسوله خير لك، فتزوجته فاغتبطت به» [حديث صحيح]

بالرغم من هذا فإنه لا يجوز أن يسأل الخاطب مخطوبته: هل خطبك أحد غيري؟ ولماذا تركك، وماذا دار بينك وبينه، وهذا لا شك إحراج وهتك للأسرار وهو من الأمور القبيحة، بل إن البعض أحيانا يفسخ الخطبة بحجة أنه اكتشف أن مخطوبته خطبت لأحد قبله ولم تخبره بذلك. هدى الله شبابنا وشاباتنا إلى ما يحبه ويرضاه وللحديث بقية والحمد لله رب العالمين.

ركن الأسرة




*الحمد لله الموصوف بكل كمال، والمنزه عن كل نقص، وأشهد أن لا إله إلا الله له ما وصف به نفسه العلية من غير كيف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وخيرته من خلقه وسيد أصفيائه وأوليائه وإمام أنبيائه، وبعد:*

أخرج البخاري في صحيحه كتاب النكاح باب الغيرة عن سعد بن عُبادة لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غير مصفح. فقال النبي ﷺ: «أتعجبون من غيرة سعد؟ لأنا أغير منه، والله أغير مني». وأخرج عن ابن مسعود قال رسول الله ﷺ: «ما من أحد أغير من الله من أجل ذلك حرم الفواحش وما أحد أحب إليه المدح من الله». وعنده عن عائشة رضي الله عنها قال رسول الله ﷺ: «يا أمة محمد، ما أحد أغير من الله أن يرى عبده أو أمته تزني، يا أمة محمد لو تعلمون، ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيرًا»(١). ففي الرواية الأولى ذكر النبي ﷺ رتبتين من مراتب الغيرة أدناهما رتبة سعد بن عبادة ولنتدبر قوله حيث قال: لو رأيت رجلاً مع امرأتي لضربته بالسيف غيرَ مصْفَح بكسر الفاء على أنها صفة للضارب وحالاً منه وبفتح الفاء على أنها صفة للسيف، أي يضربه بحد السيف وليس بعرض السيف، أي يضربه ضربًا يقتله، حتى نقل ابن حجر في الفتح عند شرحه للحديث قال: تمسك بهذا التقرير- أي من الرسول لسعد رضي الله عنه- من أجاز فعل ما قال سعد وقال: إن وقع ذلك ذهب دمُ المقتول هدرًا نقلاً عن ابن المواز من المالكية(٢).

هذه غيرة سيد الأوس رضي الله عنه والتي كانت علامة وشارة مميزة له حتى قال أصحابه من الأنصار فيما ذكره ابن حجر اعتذارًا يا رسول الله لا تلمه فإنه رجل غيور والله ما تزوج امرأة قط إلا عذراء ولا طلق امرأة فاجترأ رجل منا أن يتزوجها من شدة غيرته.

هذه غيرة سعد رضي الله عنه، وهي الأدنى والأقل من غيرة رسول الله ﷺ، ثم فوق كل ذلك غيرة من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، حيث أثبت الحديث وغيره من أحاديث الباب هذه الصفة لله تعالى، والواجب إثباتها على الحقيقة اللائقة به سبحانه كسائر صفاته من غير تكييف ولا تمثيل ولا تحريف ولا تعطيل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾، ولثبوت هذه الصفة لله تعالى تجلت كما وردت رواية ابن مسعود السابقة: «ما من أحد أغير من الله تعالى من أجل ذلك حرم الفواحش». فقد تجلت في تحريم الفواحش وكما في رواية أبي هريرة عند البخاري قال رسول الله ﷺ: «إن الله يغار وغيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرَّم الله»، وأما الغيرة في حق الآدمي فهي مشتقة من تغير القلب وهيجان الغضب بسبب المشاركة فيما به الاختصاص وأشد ما يكون ذلك بين الزوجين. قاله عياض رحمه الله(٣).

وليس معنى هذا أن القلب لا يتغير إلا عند رؤية الفاحشة فقط إنما نقلت السنة الشريفة ما هو أقل من ذلك بكثير منها ما رواه البخاري عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت: كنت أنقل النوى من أرض الزبير على رأسي فجئت يومًا والنوى على رأسي، فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني ثم قال: إخْ إخْ ليحملني خلفه فاستحييت أن أسير مع الرجال وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد عليّ من ركوبك معه، قالت: حتى أرسل إليّ أبو بكر بعد ذلك بخادم تكفيني سياسة

الفرس فكأنما أعتقني[٤].

فهذه هي الحرة العفيفة بنت صديق الأمة تحترم غيرة زوجها فلا تركب خلف النبي ﷺ وإن كانت لا تحل له ﷺ، في هذه الحالة لوجود السيدة عائشة رضي الله عنها تحته ﷺ، والحديث يثبت وجود الغيرة عند الزبير رضي الله عنه لأمرين أولهما: الركوب خلف النبي ﷺ، ولكن الأشد من ذلك والأكبر هو ابتذال أهله فيما يشق من الخدمة وأنفة نفسه من ذلك لا سيما إذا كانت ذات حسب فقال: حملك النوى أشد من ركوبك معه ﷺ، أين هذا السمو والغيرة من الرجال والنساء اليوم، تركت المرأة مع سائق أو مالك السيارة دون محرم ودون جمع من الناس، دون غيرة من رجالها أو زوجها، وكذلك تكون مبتذلة في الأسواق والطرقات دون غيرة من زوجها أو أولادها، فكان حمل أسماء رضي الله عنها النوى، والخدمة الشاقة لفرس الزبير رضي الله عنه أمر عسير على نفسه ولكن السبب في هذا الصبر من جانب الزبير على ذلك هو شغله بالجهاد مع رسول الله ﷺ وغيره من الأمور التي يكلف بها.

ولعظم حب الصحابة للنبي ﷺ كانوا يغارون على زوجاته وهن أمهاتهم وكان أعظمهم قدرًا في ذلك عمر بن الخطاب رضي الله عنه الذي وافقه ربه في ذلك لما قاله البخاري عن أنس قال عمر بن الخطاب يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله آية الحجاب وهي كما يقول ابن كثير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَٰكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَاسْأَلُوهُنَّ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾[٥]. ولم تقف غيرة عمر رضي الله عنه على أمهات المؤمنين عند حد الاستتار وعدم إبداء أي شيء من أبدانهن بل تجاوزت إلى ما هو أبعد من ذلك لما رواه البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: خرجت سودة- بعدما ضرب الحجاب- لحاجتها وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها فرآها عمر بن الخطاب فقال يا سودة أما والله ما تخفين علينا فانظري كيف تخرجين قالت فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي وإنه ليتعشى وفي يده عرقٌ فدخلت فقالت: يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي فقال لي عمر كذا وكذا قالت فأوحى الله إليه، ثم رفع عنه وإن العَرقَ في يده ما وضعه، فقال: إنه قد أُذن لكن أن تخرجن لحاجتكن[٦].

ويقول ابن حجر في شرحه للحديث: والحاصل أن عمر رضي الله عنه وقع في قلبه نفرةٌ من إطلاع الأجانب على الحريم النبوي حتى صرح بقوله له عليه الصلاة والسلام: «احجب نساءك»، وأكد ذلك إلى أن نزلت آية الحجاب ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن أصلاً ولو كن مستترات فبالغ في ذلك فمنع منه وأُذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعًا للمشقة ورفعًا للحرج[٧].

ولقد قدَّرَ النبي النبي ﷺ غيرة عمر رضي الله عنه قَدْرها حتى في المنام، فقد أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس فقال رسول الله ﷺ: «بينما أنا نائم رأيتني في الجنة فإذا امرأةٌ تتوضأ إلى جانب قصر فقلت لمن هذا؟ قال هذا لعمر فذكرتُ غيرتهُ فوليت مدبرًا» فبكى عمر وهو في المجلس ثم قال: أو عليك يا رسول الله أغار»[٨].

فإذا كان رسول الله ﷺ يولي مدبرًا حتى لا يرى امرأة عمر بجوار قصرها، فأين هذا الخلق العظيم من أخلاق الذين في قلوبهم مرض فيقتحمون البيوت على المؤمنات الغافلات من خلال الهواتف والمكالمات والمرسلات، أو قهرًا لأهلها في الظلمات، تالله ما لهؤلاء غيرة وإن قلوبهم لفي موات، ثم أين هذا التوقير النبوي للغيرة المحمودة من كثير من الرجال اليوم الذين حُرموا الغيرة فإذا هم يعرضون نساءهم وبناتهم واخواتهم في الشوارع والطرقات متبرجات مزينات، رخيصات، ويحسبون أنهم يحسنون صنعًا.

## الغيرة منها المحمودة ومنها المرفوضة

لما رواه الإمام أحمد في المسند والنسائي بسند حسن قال رسول الله ﷺ: «إن من الغيرة ما

يحب الله ومنها ما يبغض الله، فأما الغيرة التي يحبها الله فالغيرة في الريبة، وأما الغيرة التي يبغضها الله فالغيرة في غير الريبة»(٩).

فعلى الزوجين- وخاصة إن كانا متدينين حقًا- أن يدع كل منهما للآخر مجالاً لمراقبة الله تعالى ومحاسبة ضميره، فلا يعكر كل منهما سعادة الأسرة بالغيرة في غير ريبة، وخاصة إذا التزما حدود الشرع وتجنبا مواطن الشبهات، فعلى الزوجة أن تكون مدافعة عن زوجها لا موظف مخابرات تسأله دائمًا أين كنت، وماذا فعلت، إلى آخر هذه المضايقات، وعلى الزوج إذا التزمت زوجته ستر بدنها وعدم الخلوة بالأجانب ولم تخضع في قولها مع الأجانب فلا يقحم نفسه في ريبة تجلب الشقاء للأسرة بغيرة مذمومة، فالأفرنج كان فرسانهم في القرون الوسطى ليضمنوا عفة نسائهم، كانوا يربطون الأحزمة الحديدية ذات الأقفال حول وسط المرأة ويحتفظون بالمفاتيح معهم! لكن في المجتمع المسلم هناك مراقبة الله سبحانه فلتكن الغيرة في موضعها الصحيح من غير إفراط ولا تفريط.

## ما يحدث لو ماتت الغيرة

أولاً: بدلاً أن يغار المرء على أهله مثل رسوله وسلفه الصالح ينشر أسرارهم فيصير من شرار الناس عند الله منزلة لما رواه مسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أشرّ الناس عند الله منزلة يوم القيامة الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم ينشر سرها»(١١). ومعنى يفضي إليها بالمباشرة والمجامعة، وقد تفعل المرأة كذلك.

ثانيًا: يستعير لأهله التيوس المستعارة بدلاً من حفظهم وصيانتهم لما رواه ابن ماجه بإسناد صحيح عن عقبة ابن عامر أن رسول الله ﷺ قال: «ألا أخبركم بالتيس المستعار؟ قالوا: بلى يا رسول الله، قال: هو المحلل لعن الله المحلل والمحلل له». وذكر الذهبي عن ابن عمر أن رجلاً سأله فقال: ما تقول في امرأة تزوجتها أحلها لزوجها لم يأمرني ولم يعلم فقال له ابن عمر لا إلا نكاح رغبة إن أعجبتك أمسكتها وإن كرهتها فارقتها وإن كنا نعد هذا سفاحًا على عهد رسول الله ﷺ(١٣)، فموت الغيرة مجلبة للعنة من الله وأوسع أبواب السفاح.


ثالثًا: قد تموت الغيرة حتى يُقر المرء الخبث في أهله فيكون ديوثًا ويستوجب أعظم العقوبات وهو الحرمان من نظر الله تعالى إليه، لما رواه النسائي عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلةُ والديوث، وثلاثة لا يدخلون الجنة: العاق لوالديه، والمدمن الخمر، والمنان بما أعطى»(١٤). ويقول الحافظ الذهبي في وصف الديوث: هو من كان يظن بأهله الفاحشة ويتغافل لمحبته فيها أو لغير ذلك ولا خير فيمن لا غيرة له(١٥).

رابعًا: وإذا قل الغيورون وكثر الديوثون صارت أخلاقهم كأخلاق الحمير، وهذا بين يدي الساعة كما في حديث البزار والحاكم عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى يتسافدوا في الطريق تسافد الحمير». قلت: إن ذلك لكائن؟ قال: نعم ليكوننّ. ويقول الألباني مصححًا له: وله شاهد من حديث أبي هريرة مرفوعًا وهو: «والذي نفسي بيده، لا تفنى هذه الأمة حتى يقوم الرجل إلى المرأة فيفترشها في الطريق فيكون خيارهم يومئذ من يقول لو واريتها وراء هذا الحائط»(١٦). فغيرة خير الناس في ذلك الوقت ليست إنكار الفاحشة ولا منعها ولا تغييرها وإنما أن يأخذها بعيدًا عن الطريق العام ويتوارى وراء حائط. نسأل الله ألا يدركنا هذا الزمان ولا ندركه، وأن يستر عوراتنا، وأن يؤمن روعاتنا.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد

---

(١) فتح الباري (ج٩) بأرقام (٥٢٢٠، ٥٢٢١) وما قبلهما.
(٢) فتح الباري (ج٩ ص٢٣٢).
(٣) فتح الباري (ج٩) (ص٢٣١).
(٤) فتح الباري (ج٩) برقم (٥٢٢٤).
(٥) الأحزاب (٥٣).
(٦) فتح الباري برقم (٤٧٩٥).
(٧) فتح الباري (ج٨ ص٣٩١).
(٨) فتح الباري (ج٩) برقم (٥٢٢٧).
(٩) تحفة العروس (ص٣٩١).
(١٠) فتح الباري (ج٧ ص١٦٠).
(١١) مختصر مسلم برقم (٨٣١).
(١٢)، (١٣) الكبائر للذهبي (ص١٢١).
(١٤) سلسلة الصحيحة برقم (٦٧٤).
(١٥) الكبائر للذهبي (ص١٢٠).
(١٦) السلسلة الصحيحة برقم (٤٨١، ص٨٦٨).




يسأل القارئ: محب الدين سرور، شربين محافظة الدقهلية عن هذه الأحاديث:

١ - تمعددوا، واخشوشنوا، وانتعلوا، وامشوا حفاة.

٢ - أن أخوين مات أحدهما قبل الآخر بجمعة، ففضل النبي ﷺ الذي مات أولا، وقال: «إنه صلى بعده أربعين صلاة».

٣ - حياتي خير لكم، ومماتي خير لكم، تعرض عليَّ أعمالكم، فما وجدت من خير حمدت الله عليه، وما رأيت من شرّ استغفرت الله لكم.

والجواب بحول الملك الوهاب:

أما الحديث الأول: «تمعددوا...» فضعيف جدًا.

أخرجه الطبراني في «الأوسط» (٦٠٦١)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٣٦١/٤) عن صفوان بن عيسى، والطبراني في «الكبير» (ج١٩/ رقم ٨٤)، وأبو نعيم في «المعرفة» (٥٨٠١)، وأبو الشيخ في «كتاب السبق»، وابن شاهين في «الصحابة» عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، وأبو القاسم البغوي في «معجم الصحابة» (١٦٥٥، ١٩٨٧)، ومن طريقه أبو نعيم في «المعرفة» (٥٨٠٠) عن إسماعيل بن زكريا ثلاثتهم عن عبد الله بن سعيد المقبري، عن أبيه، عن القعقاع بن أبي حدرد مرفوعًا به.

ووقع عند البغوي: «ابن أبي حدرد» غير مسمى. وسمّاه البغوي مرة «عبد الله» ومرة: «قعقاع».

ونقل السيوطي في «الجامع الكبير» (٥٢٦/١٢٨٥٠) عن ابن عساكر قال: «اعتقد البغوي أن ابن أبي حدرد، هو عبد الله فأخرجه في ترجمته، وإنما هو القعقاع بن عبد الله بن أبي حدرد، وكذلك رواه صفوان بن عيسى ويحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن عبد الله بن سعيد المقبري، فيكون الحديث مرسلاً؛ لأن القعقاع لا صحبة له، وعبد الله بن سعيد ضعيف بمرة». انتهى.

قلت: وقد اختلف في إسناده، فرواه صفوان بن عيسى، ويحيى بن زكريا، وإسماعيل بن زكريا ثلاثتهم عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن القعقاع ابن أبي حدْرد.

وخالفهم عبد الرحيم بن سليمان فرواه عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن رجل من أسلم يقال له: ابنُ الأدرع مرفوعًا فذكره.

أخرجه ابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢٣٨٦)، والرامهرمزي في «الأمثال» (١٣٦) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، قالا: ثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وهذا في «المصنف» (٢٢/٩)، وفي «المسند» (٥٩٧) قال: حدثنا عبد الرحيم بن سليمان بهذا.

وأخرجه الطبراني في «الكبير» (ج٢٢/ رقم ٨٨٥) من طريق سعيد بن سليمان، عن إسماعيل بن زكريا، عن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن أبي حدْرد مرفوعًا، وهذا اضطرابٌ شديد، وآفته عبد الله بن سعيد فإنه واهٍ، متروك الحديث.

وقد صحَّ هذا عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال:

«أمَّا بعدُ، فاتزروا وارتدوا، وانتعلوا وارموا بالخفاف، واقطعوا السراويلات، وعليكم بلباس أبيكم إسماعيل، وإيَّاكم والتنعم وزيّ الأعاجم، وعليكم بالشمس، فإنها حمام العرب، وتمعددوا، واخشوشنوا، واخلولقوا، وارموا الأغراض، وانزوا نزوًا، والنبي ﷺ نهانا عن الحرير إلا هكذا: أصبعيه، السبابة والوسطى، قال: فما علمنا أنه يعني إلا الأعلام».

أخرجه أبو القاسم البغوي في «الجعديات» (١٠٣٠) قال: حدثنا عليّ بنُ الجعد. وابنُ حبان (٥٤٥٤) عن عيسى بن يونس عن شعبة، عن قتادة، قال: سمعت أبا عثمان النهدي يقول: أتانا كتاب عمر، ونحن بأذربيجان مع عتبة بن فرقد: «أما بعدُ... إلخ».

وأخرجه البغوي أيضًا (١٠٣١) قال: حدثنا علي بن الجعد، والبيهقي (١٠/١٤) عن آدم بن أبي إياس، عن شعبة، عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي عن عمر نحوه وزاد: «وتعلموا العربية».

وتوبع شعبة على هذا الوجه. فأخرجه البخاري في «اللباس» (١٠/٢٨٤)، ومسلم (١٢/٢٠٦٩) عن زهير بن معاوية وأحمد (٤٣/١) قال: حدثنا يزيد بن هارون، وأبو يعلى (٢١٣) عن حماد بن سلمة ثلاثتهم عن عاصم الأحول، عن أبي عثمان النهدي، عن عمر نحوه مطولاً ومختصرًا. وأخرجه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٣/٣٢٥) قال: حدثنا أبو بكر بن عياش، عن عاصم بن أبي النجود، عن أبي العدبَّس الأسدي، عن عمر نحوه.

وأبو العدبَّس فيه جهالة.

وأخرجه البخاري (١٠/٢٨٤) عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان قال: كنا مع عتبة- يعني: ابن فرقد- فكتب إليه عمرُ. فذكر بعضه مرفوعًا: «لا يلبس الحرير في الدنيا، إلا لم يُلبس منه شيء في الآخرة».

وأما الحديث الثاني: «أن أخوين... إلخ» فهو حديثٌ باطلٌ.

أخرجه أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن أبي ثابت في «الأول من الفوائد» (ق٨٣/٢) قال: حدثنا أحمد بن بكر البالسيُّ، ثنا داود بنُ الحسن، ثنا مبارك بنُ فضالة، عن الحسن البصري، عن أنس بن مالك فذكره. وهذا إسناد مسلسلٌ بالعلل.

فأحمد بن بكر البالسيُّ، ترجمه ابنُ عدي في «الكامل» (١/١٩١) وقال: «قال لنا عبد الملك بن محمد: أحمد بن بكر البالسيُّ روى أحاديث مناكير عن الثقات» ونسب الذهبي في «الميزان» (١/٨٦) هذا القول لابن عدي، ولم يتعقَّبهُ في «اللسان» (١/٢٣٧) وقد رأيت أنه قول شيخ ابن عدي. ونقل في «اللسان» أن الدارقطني ضعَّفه، بل قال أبو الفتح الأزدي: «كان يضع الحديث» ولعلَّه بالغ كعادته. وأمَّا ابنُ حبان فقد ذكره في «الثقات» (٨/٥١) وقال: «كان يخطئ». وداود بن الحسن لم أجد له ترجمة، فليحرر. ومبارك بن فضالة ضعيفٌ وكان يدلس. والحسن البصري لم يسمع من أنس بن مالك. فالإسناد ساقط كما رأيت، والله أعلم.

وأما الحديث الثالث: «حياتي خير لكم...» فضعيف منكرٌ.

أخرجه البزار (١٩٢٥- البحر) قال: حدثنا يوسف بن موسى، قال: نا عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، عن سفيان، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعود، عن النبي ﷺ قال: «إن لله ملائكة سياحين، يبلغوني عن أمتي السلام». قال: وقال رسول الله ﷺ: «حياتي خيرٌ لكم...» الحديث.

قال البزار: «وهذا الحديث آخره لا نعلمه يروى عن عبد الله، إلا من هذا الوجه بهذا الإسناد». فاعلم- أيها المسترشد- أن جماعة من ثقات أصحاب سفيان الثوري رووا هذا الحديث عنه، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعود بأوله حسبُ، ولم يذكر واحدٌ منهم آخره. فأخرجه النسائي (٣/٤٣)، وأحمد (١/٤٥٢) عن معاذ بن معاذ العنبري، والنسائي، وأبو يعلى (٥٢١٣)، وابن أبي شيبة (٢/٥١٧)، وابن حبان (٩١٤) عن وكيع بن الجراح، والنسائي (٣/٤٣)، والطبراني في «الكبير» (ج١٠/ رقم ١٠٥٢٩) عن عبد الرزاق، وهذا في «المصنف» (٢/٢١٥)، والدارمي (٢/٢٢٥) قال: حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، وأحمد (١/٣٨٧) قال:

حدثنا عبد الله بن نمير، والنسائي في «اليوم والليلة» (٦٦) عن ابن المبارك، وهو في «كتاب الزهد» (١٠٢٨)، وأحمد (٤٤١/١) قال: حدثنا وكيع وعبد الرحمن بن مهدي، والهيثم بن كليب في «المسند» (٨٢٥) عن زيد بن الحباب، والبزار (١٩٢٣)، وإسماعيل القاضي في «فضل الصلاة على النبي» (٢١) عن يحيى القطان، والهيثم بن كليب (٨٢٦)، والطبراني (١٠٥٣٠) عن فضيل بن عياض، والبيهقي في «الشعب» (١٥٨٢)، وفي «الدعوات الكبير» (١٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٩٧/٣) عن أبي نعيم الفضل بن دكين، وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠١/٤) عن محمد بن كثير، والحاكمُ (٤٢١/٢)، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٠٥/٢) عن أبي إسحاق الفزاري، والبيهقي في «الدعوات الكبير» (١٥٩)، والبغوي في «شرح السنة» (١٩٧/٣) عن عبيد الله بن موسى كلهم عن سفيان الثوري عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعودٍ مرفوعًا بالفقرة الأولى من الحديث، دون قوله: «حياتي خير لكم...» إلخ. فقد رأيت أراك الله الخير أن يحيى القطان، وعبد الرحمن بن مهدي، ووكيع بن الجرح، وابن المبارك، وعبد الرزاق بن همام، ومعاذ بن معاذ العنبري، ومحمد بن يوسف الفريابي، وعبد الله بن نمير، وزيد بن حباب، وعبيد الله بن موسى، وأبا نعيم الفضل، وفضيل بن عياض، ومحمد بن كثير، وأبا إسحاق الفزاري، وعدتهم أربعة عشر نفرًا، قد رووه عن الثوري فلم يذكروا قوله: «حياتي خير لكم»، وخالفهم عبد المجيد بن عبد العزيز بن أبي روَّاد، فرواه عن الثوري بهذا الإسناد فذكره وقد علمنا من قول البزار أنه تفرد به عن الثوري، ولا يشك حديثيٌّ -وهو المبتدئ- أن رواية عبدالمجيد منكرة، فلو لم يكن فيه مغمزٌ ربما احتمل منه، لكن تكلم فيه غير واحدٍ من العلماء منهم الحميدي، وقال أبو حاتم: «ليس بالقوي يكتب حديثه». وقال الدارقطني: «لا يحتج به، يعتبر به»، وضعَّفه أبو زرعة، وابنُ سعدٍ، وابن أبي عمر، وغلا فيه ابن حبان فتركه.

ووثقه آخرون، ولم يرو له مسلمٌ إلا حديثًا واحدًا في «كتاب الحج» (١٧٩/١٢٩٩) مقرونًا بـ «هشام بن سليمان المخزومي»، ولو سلمنا أن مسلمًا روى له محتجًا به فلا بأس بصنيعه، لأنه روى هذا الحديث عن عبد المجيد بن عبد العزيز، عن ابن جريج، وكان عبد المجيد من أثبت الناس في ابن جريج كما قال ابن معين، والدارقطني، وابنُ عدي وغيرهم، وحديثه هذا ليس عن ابن جريج، مع مخالفته لنجوم أصحاب الثوري، فحريٌّ أن لا يقبل منه ما زاده عليهم، لا سيما وقد رواه الأعمش، عن عبد الله بن السائب، عن زاذان، عن ابن مسعود مرفوعًا بالحديث الأول وحده.

أخرجه الحاكمُ (٤٢١/٢) عن عثمان بن أبي شيبة والطبراني في «الكبير» (ج١٠/ رقم ١٠٥٢٨) قال: حدثنا هاشم بن مرثد الطبراني، وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٢٠٥/٢) عن أبي سيار محمد بن عبد الله البغدادي، قالوا: ثنا أبو صالح محبوب بن موسى الفراء، ثنا أبو إسحاق الفزاري، عن الأعمش بهذا. ومحبوب بن موسى، وثقه أبو داود، والعجليُّ. وقال ابنُ حبان: «متقنٌ فاضلٌ». وكذلك رواه حسين الخلقاني، عن عبد الله بن السائب بهذا الإسناد بالحديث الأول أخرجه البزار (١٩٢٤)، والخطيب في «تاريخه» (١٠٤/٩) من طريق سعيد بن الحسن بن علي قالا: ثنا يوسف بن موسى القطان، ثنا جرير بن عبد المجيد، عن حسين الخلقاني بسنده سواء، والخلقاني ما عرفتُهُ، فليحرر، وبعد هذا التحرير تعلم خطأ من صحح إسناد هذا الحديث كالسيوطي في «الخصائص» (٤٩١/٢) أو من جوَّده كالولي العراقي في «طرح التثريب» (٢٩٧/٣)، وأخف من قولهما- وإن كان موهمًا- قول الهيثمي في «المجمع» (٢٤/٦): «رواه البزار ورجاله رجال الصحيح»، وقول شيخه العراقي في «تخريج الإحياء» (١٢٨/٤): «رجاله رجال الصحيح، إلاَّ أن عبد المجيد بن أبي رواد وإن أخرج له مسلمٌ ووثقه ابنُ معينٍ والنسائيُّ فقد ضعَّفه بعضهم». انتهى. وله شواهدُ لا يفرح بها ذكرها شيخنا الألباني رحمه الله في «الضعيفة» (٩٧٥).

ومما يدلُّ على نكارة هذا الحديث ما أخرجه البخاري في «أحاديث الأنبياء» (٣٨٦/٦- ٣٨٧، ٤٧٨)، وفي «التفسير» (٢٨٦/٨، ٤٣٧- ٤٣٨)، وفي «الرقاق» (٣٧٧/١١)، ومسلم (٥٨/٢٨٦٠)، والنسائي (١١٧/٤)، والترمذي (٢٤٢٣)، وأحمد (٢٢٣/١، ٢٢٩، ٢٣٥، ٢٥٣)، والدارمي (٢٣٣/٢- ٢٣٤)، والطيالسيُّ (٢٦٣٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٥٧/١١)، و(٢٤٧/١٣) و(١١٧/١٤)، وابن حبان (٧٣٤٧)، وغيرهم من طريق المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس فذكر حديثًا وفيه: «ألا وإنه سيجاءُ برجالٍ من أمتي، فيؤخذُ بهم ذات الشمال، فأقولُ: يا ربِّ أصحابي، فقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». فهذا الحديث دليلٌ على أن النبي ﷺ لا يعلم أعمال أمته بعده.

ويدلُّ على ذلك أيضًا قول عيسى عليه السلام: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

والحمد لله رب العالمين

# تحذير الداعية من القصص الواهية

# قصة اللجوء إلى الغار عند الشدائد

•• الحلقة الرابعة والخمسون ••

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة لكيلا تكون هذه القصة سببًا في شد الرحال إلى الغار وهذه القصة تضاف إلى سلسلة القصص الواهية حول الهجرة والغار والتي سبق تقديم البحوث العلمية الحديثية حولها:

إعداد
الشيخ/ علي حشيش

١- قصة «ثعبان الغار» عدد جمادى الأولى ١٤٢١هـ رقم (١).

٢- قصة «عنكبوت الغار والحمامتين» عدد المحرم ١٤٢٢هـ رقم (٦).

٣- قصة «غناء بنات النجار» عدد المحرم ١٤٢٣هـ رقم (١٨).

٤- قصة «لطم أبي جهل لأسماء بنت أبي بكر في الهجرة» عدد المحرم ١٤٢٤هـ رقم (٣٠).

٥- قصة أبي طالب في الهجرة ووصيته للنبي ﷺ عدد المحرم ١٤٢٥هـ رقم (٤٢).

وإلى القارئ الكريم هذه القصة الواهية قصة «اللجوء إلى الغار عند الشدائد».

## أولا: المتن

القصة تحكي أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لابنه: «يا بني إن حدث في الناس حدث، فأت الغار الذي رأيتني اختبأت فيه أنا ورسول الله ﷺ، فكن فيه، فإنه سيأتيك فيه رزقك غدوة وعشية».

وهذه القصة يذكرها القصاص والوعاظ بإسهاب وهي تدور حول هذا المتن.

## ثانيا: التخريج

الخبر الذي جاءت به هذه القصة أخرجه البزار (ح١١٧٨) كذا في «كشف الأستار» (٢/٤٩)، وابن عدي في «الكامل» (٦/٣٣٨) (١٩٦/١٨١٧) من طريق: خلف بن تميم، عن موسى بن مطير، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بكر الصديق به.

## ثالثا: التحقيق

هذا الخبر الذي جاءت به هذه القصة باطل والقصة واهية.

١- فالخبر غريب حيث قال البزار: «لا نعلم رواه إلا خلف».

٢- علة هذا الخبر موسى بن مطير.

أ- أخرج العقيلي في «الضعفاء الكبير» (٤/١٦٣/١٧٣٤) عن يحيى بن معين قال: «موسى بن مطير كذاب».

ب- أورده النسائي في «الضعفاء والمتروكين»

برقم (٥٥٥) وقال: «موسى بن مطير: منكر الحديث».

حـ- أورده الدارقطني في «الضعفاء والمتروكين» برقم (٥١٣) وقال: «موسى بن مطير، كوفي عن أبيه... ومطير أبوه لا يعرف إلا به».

قلت: وقد يتوهم من لا دراية له بعلم الجرح والتعديل أن الدارقطني سكت عنه ولا يدرى أنه بمجرد ذكر اسم موسى بن مطير في كتاب «الضعفاء والمتروكين» للدارقطني يجعل موسى بن مطير من المتروكين، حيث قال البرقاني: طالت محاورتي مع ابن حمكان للدارقطني عفا الله عني وعنهما في المتروكين من أصحاب الحديث فتقرر بيننا وبينه على ترك من أثبته على حروف المعجم في هذه الورقات. كذا في مقدمة الضعفاء والمتروكين للدارقطني.

د- أورده الإمام ابن أبي حاتم في كتاب «الجرح والتعديل» (٨/١٦٢/٧١٧) وقال: «موسى بن مطير روى عن أبيه عن أبي هريرة روى عنه خلف بن تميم، سألت أبي عن موسى بن مطير فقال: متروك الحديث ذاهب الحديث».

هـ- وأورده ابن حبان في «المجروحين» (٢/٢٤٢) وقال: «موسى بن مطير كان صاحب عجائب ومناكير لا يشك المستمع لها أنها موضوعة إذْ كان هذا الشأن صناعته».

قلت: لذلك أورد هذه القصة الإمام الذهبي في «الميزان» (٤/٢٢٣/٨٩٢٨) وجعلها من مناكير موسى بن مطير.

ووافقه الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/١٥٤) (١٩٠٣/٨٦٨٨). ونقل عن أحمد أن الناس تركوا حديثه.

ونقل عن أبي نعيم: أن موسى بن مطير روى عن أبيه عن أبي هريرة أحاديث منكرة.

### علة أخرى

٣- وعلة أخرى: مطير بن أبي خالد.

أورده الإمام ابن أبي حاتم في كتابه: «الجرح والتعديل» (٨/٣٩٤/١٨٠٥) وقال: «مطير بن أبي خالد روى عن أبي هريرة، وروى عنه ابنه موسى بن مطير، سألت أبي عنه فقال: متروك الحديث».

وأقره الذهبي في «الميزان» (٤/١٢٩/٨٥٩٧).

وبهذا التحقيق تكون القصة باطلة واهية لما بها من كذابين ومتروكين، فموسى بن مطير كذاب وأبوه متروك.

### رابعا: الأثر السيئ للقصص الواهية على العقيدة

فاللجوء إلى الغار عند الشدائد وأن الأرزاق تأتي لمن لجأ إليه غدوة وعشيًا لم يفعله أحدٌ من الصحابة ولا التابعين، ومثل هذه القصص الواهية لها أثرها السيئ في شدِّ الرحال إلى هذه الأماكن والتعلق بها، ولقد حذَّر السلف الصالح من هذا، فقد أخرج الإمام أحمد في «المسند» (٦/٧) )ح٢٣٩٠١) قال: حدثنا حسين بن محمد، حدثنا شيبان، عن عبد الملك، عن عمر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام أنه قال: لقي أبو بصرة الغفاري أبا هريرة وهو جاءٍ من الطور فقال: من أين أقبلت؟ قال: من الطور صليت فيه، قال: أما لو أدركتك قبل أن ترحل إليه ما رحلت، إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام ومسجدي هذا، والمسجد الأقصى»، والحديث أخرجه أحمد وغيره بسند صحيح.

### خامسا: اللجوء إلى الدعاء عند الكرب

فقد أخرج البخاري (ح٦٣٤٦) في كتاب الدعوات باب «الدعاء عند الكرب»، ومسلم (ح٢٧٣٠) كتاب الذكر والدعاء- «باب استحباب الدعاء» من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: «لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات، ورب الأرض ورب العرش الكريم».

### سادساً: اليقين والتوكل عند الشدائد

فقد أخرج البخاري (ح٤٥٦٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: «حَسْبُنَا الله ونعم الوكيل قالها إبراهيم ﷺ حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾».

### سابعاً: الأرزاق لا تأتي غدوة وعشية باللجوء إلى الغار

الأرزاق تأتي بالأخذ بالأسباب، لأن محو الأسباب نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع، لأن الشرع أمر بالأخذ بالأسباب في قوله تعالى: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥].

وفي أثناء الأخذ بالأسباب نتذكر أن خالق هذه الأسباب هو الله كما في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ٩٦].

وهذا ما بينه شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع الفتاوى» (١٦٩/٨).

حيث قال: «ومما ينبغي أن يعلم: ما قاله طائفة من العلماء. قالوا: الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ومحو الأسباب أن تكون أسبابًا نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع».

وقد أخرج الترمذي في «السنن» (ح٢٣٤٤) في كتاب الزهد، باب التوكل على الله، وابن ماجه (ح٤١٦٤) في كتاب الزهد باب التوكل واليقين، وابن حبان (ح٥٤٨- موارد )، والحاكم (٣١٨/٤)، وأحمد في «المسند» (٥٢/١) من حديث عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير، تغدو خماصًا وتروح بطانًا». وصححه الحاكم وأقره الذهبي.

وفي الحديث: التوكل على الله حق توكله، ومن حقوق التوكل الأخذ بالأسباب، ومن حق التوكل عدم الالتفات إلى الأسباب؛ لأن الالتفات إلى السبب هو اعتماد القلب عليه ورجاؤه والاستناد إليه، وليس في المخلوقات ما يستحق هذا؛ لأنه ليس مستقلا ولا بد له من شركاء وأضداد، ومع هذا كله فإن لم يسخره مُسَبِّب الأسباب لم يسخر.

فليحذر القارئ الكريم من القصص الواهية التي تهدم التوحيد حتى قال قائلهم: «عند الشدائد عليك باللجوء إلى مقابر الصالحين فهناك تتنزل الرحمات والبركات»، واتخذوا من القصص الواهية ما بنوا عليه باطلهم: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد: ٢٤]، ﴿أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.





# من فتاوى دار الإفتاء المصرية

## جواز الصلاة بالنعلين إذا كانا طاهرين

المبادئ:

١- الصلاة بالنعلين جائزة متى كانا طاهرين.

٢- النجاسة ذات الجرم تطهر بالتراب وغير ذات الجرم لا تطهر حتى تغسل.

سؤال: رجل صلى في محل عمله لابسًا حذاءه المعتاد لبسه في كل حين، غير أنه لم يكن في مكان الوطء من نعليه أي خبث أو أذى ظاهر فما حكم صلاته بالحذاء؟

اجاب: نفيد أنه متى كانت النعلان طاهرتين فالصلاة صحيحة، لما في البخاري عن يزيد الأزدي قال: سألت أنس بن مالك: أكان النبي ﷺ يصلي في نعليه؟ قال: نعم. وفي منتقى الأخبار عن شداد بن أوس قال: قال رسول الله ﷺ: «خالفوا اليهود فإنهم لا يصلون في نعالهم ولا خفافهم». وقد أخرج أبو داود من حديث أبي هريرة عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا صلى أحدكم فخلع نعليه فلا يؤذ بهما أحدًا، ليجعلهما بين رجليه أو ليصل فيهما». وقد كان يصلي في النعلين كثير من الصحابة والتابعين. اهـ. ملخصًا من نيل الأوطار. وفي شرح نية المصلي لإبراهيم الحلبي نقلاً عن فتاوى الحجة ما نصه: «الصلاة في النعلين تفضل على صلاة الحافي أضعافًا مخالفة لليهود». اهـ.

ومن هنا يعلم صحة الصلاة في النعلين الطاهرتين بل ذهب كثير من علماء المسلمين إلى أنها مستحبة، وتتميمًا للفائدة نقول: إن النعل إذا كانت متنجسة بنجس ذي جرم سواء أكان الجرم من النجاسة كالدم والعذرة أو من غيرها، بأن ابتلت النعل ببول مثلاً فمشي بها صاحبها على رمل أو رماد فاستجمد طهرت بالدلك حتى يذهب الأثر مطلقًا على ما هو المختار عند بعض فقهاء الحنفية لما روى أبو داود عن أبي سعيد الخدري أنه ﷺ قال: «إذا جاء أحدكم إلى المسجد فلينظر فإن رأى في نعليه أذى أو قذر فليمسحه وليصل فيهما». وأخرج ابن خزيمة عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: «إذا وطئ أحدكم الأذى بنعليه أو خفيه فطهورهما التراب». وأما إذا كانت النعل متنجسة بنجس غير ذي جرم كالبول إذا يبس فلا تطهر حتى تغسل والله سبحانه وتعالى أعلم.

## زكاة السيارات والدور المعدة للاستغلال

المبادئ:

١- السيارات والدواب المعدة للركوب إذا لم يُقصد عند شرائها التجارة فيها لا زكاة في قيمتها مهما بلغت وكذلك الدور.

٢- المتحصل من أجرتها يخصم منه مصاريفها وديونها وغرامات مرورها، فإن بلغ الباقي نصابًا وحال عليه الحول من تاريخ قبضه وجبت فيه الزكاة متى تحققت شروط الوجوب ومقدارها ربع العشر.

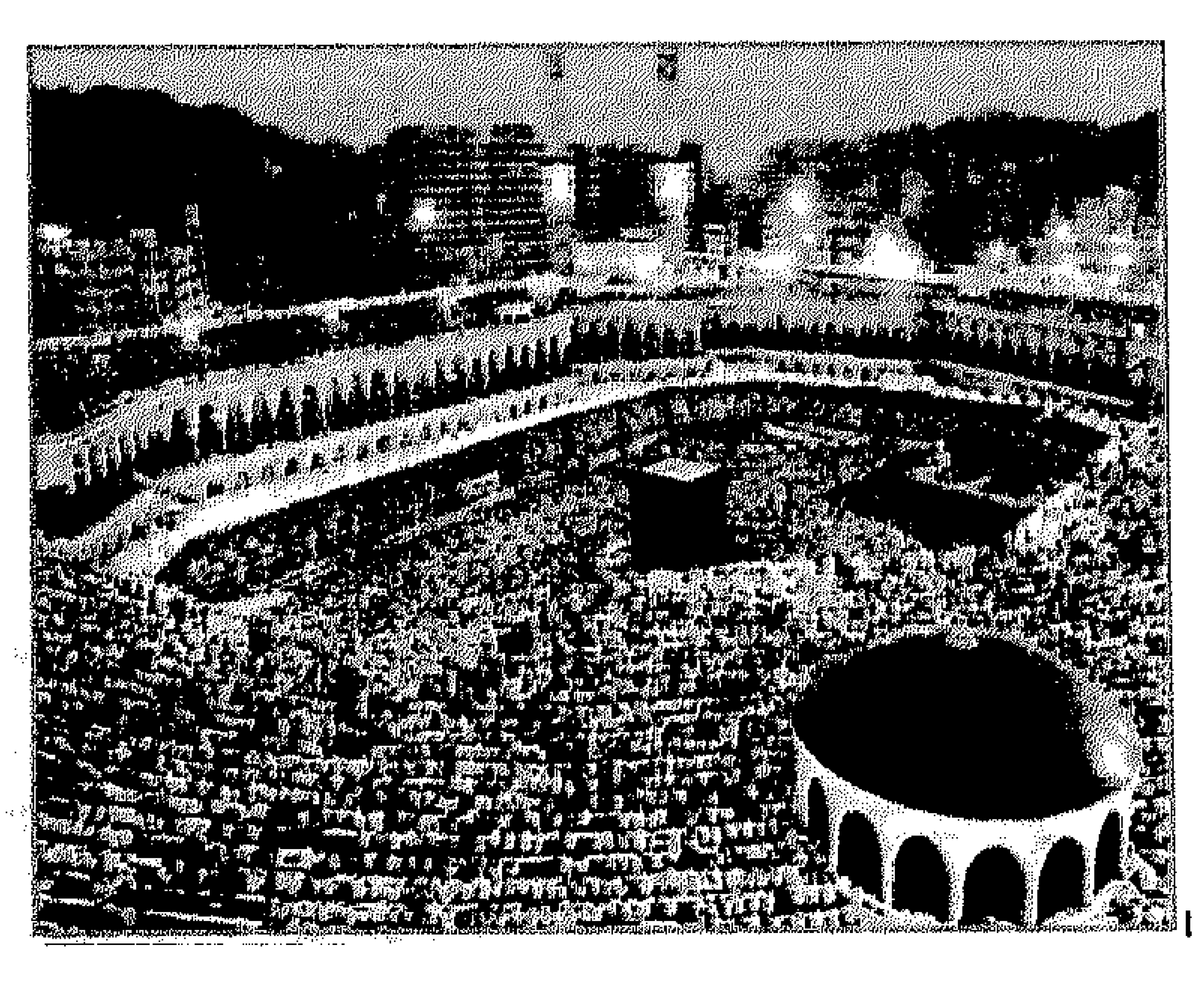
سؤال:

من السيد: عبد الفتاح العناني صاحب شركة نقل بالسيارات بطلبه المقيد برقم (١٣٤٨٨) سنة ١٩٥٧ أن رجلاً يملك سيارات نقل بضائع بالأجرة من بلد لآخر وعليها التزامات وديون وأقساط شهرية ثمن إطارات كاوتش وضريبة قلم المرور وضريبة أرباح، وسأل هل تجب الزكاة في ثمنها عند الشراء أو عند قيمتها الحالية أو في إيرادها، وفي اي وقت تجب الزكاة؟ وهل تجب الزكاة في منزل يملكه رجل ويؤجره لآخرين ويدفع عنه عوايد بقدر إيجار شهر من إيراده؟ وهل الزكاة تجب عن قيمته أو على إيراده السنوي وما قدرها؟

الجواب: إن المنصوص عليه شرعًا أن الزكاة لا تجب في دواب الركوب والدواب المعدة للأجرة،

وكذلك عبيد الخدمة أو الأجرة، وكذلك الدور المعدة للاستغلال مهما بلغت قيمة ذلك كله إذا كان ما قبضه مالكها من أجرتها لم يبلغ نصاب الزكاة من الذهب أو الفضة، أما إذا بلغت أجرتها نصاب الذهب أو الفضة السابق وحال عليها الحول من تاريخ القبض وكانت فاضلة عن حوائجه وحوائج عياله الأصلية فإنه تجب فيها الزكاة شرعًا، ومقدار الواجب فيها حينئذ هو ربع العشر، ومثل ذلك في الحكم السيارات المسئول عنها إذا اشتريت لذلك ولم يقصد عند شرائها الاتجار بأعيانها فإنه لا زكاة في قيمتها مهما بلغت- أما المتحصل من أجرتها بعد الصرف عليها في الوجوه المذكورة بالسؤال فإنه لا تجب فيه الزكاة حتى يبلغ نصاب الزكاة السابق ويحول عليه الحول من تاريخ القبض ويكون فاضلاً عن حوائجه الأصلية، فإذا بلغت أجرتها بعدما صرف عليها هذا النصاب وتوفرت فيه باقي الشروط السابقة وجبت في الفاضل من الأجرة الزكاة وقدرها ربع عشر أجرتها المتبقية لدى مالكها- والحكم كذلك في المنزل المشار إليه في السؤال- فإذا بلغت أجرته نصاب الزكاة المذكور وحال عليه الحول في يد مالكه وكان فارغًا عن حاجته وحاجة عياله وجبت فيها الزكاة كما ذكرنا في السيارات المسئول عنها، أما إذا لم تبلغ أجرته النصاب المذكور فلا زكاة فيها ولا في قيمته مهما بلغت. والله سبحانه وتعالى أعلم.

[المفتي: فضيلة الشيخ: حسن مأمون- رحمه الله]



من فتاوى

## اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

## حكم عمل شركات التسويق الهرمي أو الشبكي

فتوى رقم (٢٢٩٣٥) وتاريخ ١٤٢٥/٣/١٤هـ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه، وبعد:

فقد وردت إلى اللجنة الدائمة والإفتاء أسئلة كثيرة من عمل شركات التسويق الهرمي أو الشبكي مثل شركة (بزناس)، وغيرها والتي يتلخص عملها في إقناع الشخص بشراء سلعة أو منتج، على أن يقوم بإقناع آخرين بالشراء ليقنع هؤلاء آخرين أيضًا بالشراء وهكذا، وكلما زادت طبقات المشتركين حصل الأول على عمولات أكثر تبلغ آلاف الريالات، وكل مشترك يقنع من بعده بالاشتراك مقابل العمولات الكبيرة التي يمكن أن يحصل عليها إذا نجح في ضم مشتركين جدد يلونه في قائمة الأعضاء، وهذا ما يسمى التسويق الهرمي أو الشبكي.

وأجابت اللجنة: أن هذا النوع من المعاملات محرَّم، وذلك أن مقصود المعاملة هو العمولات وليس المنتج، فالعمولات تصل إلى عشرات الآلاف، في حين لا يتجاوز ثمن المنتج بضع مئات، وكل عاقل إذا عرض عليه الأمران فسيختار العمولات، ولهذا كان اعتماد هذه الشركات في التسويق والدعاية لمنتجاتها هو إبراز حجم العمولات الكبيرة التي يمكن أن يحصل عليها المشترك، وإغراءه بالربح الفاحش مقابل مبلغ يسير هو ثمن المنتج،

فالمنتج الذي تسوقه هذه الشركات مجرد ستار وذريعة للحصول على العمولات والأرباح ، لما كانت هذه هي حقيقة هذه المعاملة ، فهي محرَّمة شرعًا لأمور :

أولاً : أنها تضمنت الربا بنوعيه ربا الفضل وربا النسيئة ، فالمشترك يدفع مبلغًا قليلاً من المال ليحصل على مبلغ كبير منه ، فهي نقود بنقود مع التفاضل والتأخير ، وهذا هو الربا المحرَّم بالنص والإجماع، والمنتج الذي تبيعه الشركة للعميل ما هو إلا ستار للمبادلة ، فهو غير مقصود للمشترك ، فلا تأثير له في الحكم.

ثانيًا : أنها من الغرر المحرَّم شرعًا ؛ لأن المشترك لا يدري هل ينجح في تحصيل العدد المطلوب من المشتركين أو لا ؟ والتسويق الشبكي أو الهرمي مهما استمر فإنه لابد أن يصل إلى نهاية يتوقف عندها ، ولا يدري المشترك حين انضمامه إلى الهرم هل سيكون في الطبقات العليا منه فيكون رابحًا ، أو في الطبقات الدنيا فيكون خاسرًا ؟ والواقع أن معظم أعضاء الهرم خاسرون إلا القلة القليلة في أعلاه، فالغالب إذن هو الخسارة ، وهذه حقيقة الغرر ، وهي التردد بين أمرين أغلبهما أخوفهما، وقد نهي النبي ﷺ عن الغرر ، كما رواه مسلم في صحيحه.

ثالثًا : ما اشتملت عليه هذه المعاملة من أكل الشركات لأموال الناس بالباطل ؛ حيث لا يستفيد من هذا العقد إلا الشركة ومن ترغب إعطاءه من المشتركين بقصد خدع الآخرين ، وهذا الذي جاء النص بتحريمه في قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ﴾ [النساء : ٢٩] .

رابعًا : ما في هذه المعاملة من الغش والتدليس والتلبيس على الناس ، من جهة إغرائهم بالعمولات الكبيرة التي لا تتحقق غالبًا، وهذا من الغش المحرَّم شرعًا ، وقد قال عليه الصلاة والسلام : «من غش فليس مني» . رواه مسلم في صيحه وقال أيضًا : «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا ، فإن صدقا وبيَّنا بورك لهما في بيعهما ، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما». متفق عليه .

وأما القول بأن هذا التعامل من السمسرة ، فهذا غير صحيح ، إذ السمسرة عقد يحصل السمسار بموجبه على أجر لقاء بيع السلعة ، أما التسويق الشبكي فإن المشترك هو الذي يدفع الأجر لتسويق المنتج ، كما أن السمسرة مقصودها السلعة حقيقة ، بخلاف التسويق الشبكي فإن المقصود الحقيقي منه هو تسويق العملات وليس المنتج ، ولهذا فإن المشترك يُسوِّق لمن يُسوِّق ، هكذا بخلاف السمسرة التي يُسوق فيها السمسار لمن يريد السلعة حقيقة ، فالفرق بين الأمرين ظاهر .

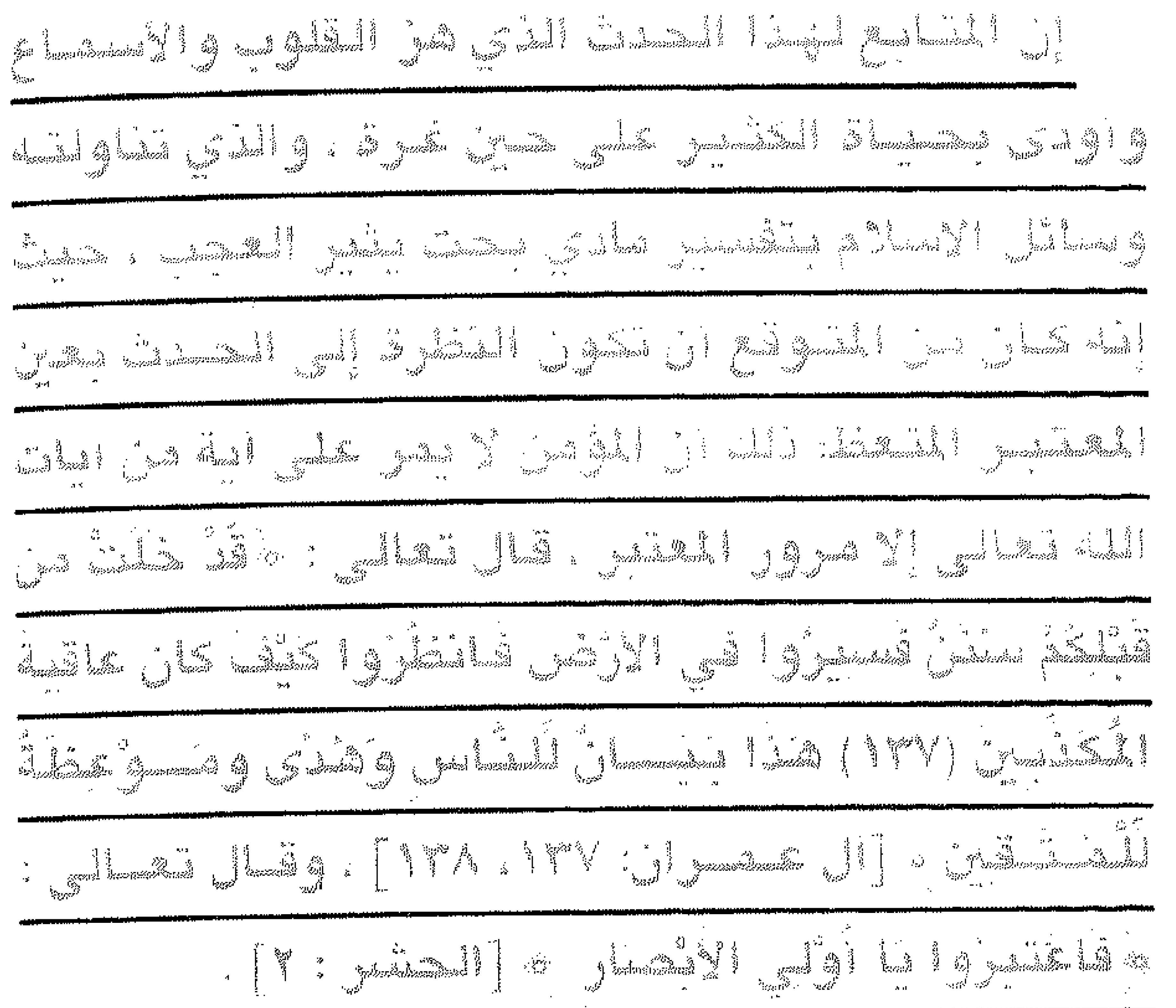
وأما القول بأن العمولات من باب الهبة فليس بصحيح ، ولو سلم فليس كل هبة جائزة شرعًا ، فالهبة على القرض ربا ، ولذلك قال عبد الله بن سلام لأبي بردة ، رضي الله عنه: «إنك في أرض الربا فيها فاش ، فإذا كان لك على رجل حق فأهدى إليك حمل تبن أو حمل شعير أو حمل قت فإنه ربا» . رواه البخاري في الصحيح ، والهبة تأخذ حكم السبب الذي وجدت لأجله ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام : «أفلا جلست في بيت أبيك وأمك فتنظر أيهدى إليك أم لا؟» متفق عليه .

وهذه العمولات إنما وجدت لأجل الاشتراك في التسويق الشبكي ، فمهما أعطيت من الأسماء سواء هدية أو هبة أو غير ذلك ، فلا يغيِّر ذلك من حقيقتها وحكمها شيئًا .

ومما هو جدير بالذكر أن هناك شركات ظهرت في السوق سلكت في تعاملها مسلك التسويق الشبكي أو الهرمي ، وحكمها لا يختلف عن الشركات السابق ذكرها ، وإن اختلف عن بعضها فيما تعرضه من منتجات ، وبالله التوفيق، وصلى الله وسلم على نبينا

# العلمانيون وزلزال تسونامي

إعداد
د. الوصيف علي حزة


إن المتابع لهذا الحدث الذي هز القلوب والأسماع وأودى بحياة الكثير على حين غرة، والذي تناولته وسائل الإعلام بتفسير مادي بحت يثير العجب، حيث إنه كان من المتوقع أن تكون النظرة إلى الحدث بعين المعتبر المتعظ؛ ذلك أن المؤمن لا يمر على آية من آيات الله تعالى إلا مرور المعتبر. قال تعالى: ﴿قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ (١٣٧) هَذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٧، ١٣٨]. وقال تعالى: ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ذلك أن من شيم أهل الغفلة والجهل والكفر الإعراض عن آيات الله تعالى مطلقًا سواء الآيات القرآنية أو الآيات الكونية، قال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ (١) مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ إِلاَّ اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ (٢) لاهِيَةً قُلُوبُهُمْ﴾ [الأنبياء:١- ٣]، وذلك لأن انتفاعهم بالآيات معدوم، ﴿وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾ [يونس: ١٠١].

ومن طبيعة هؤلاء أن يفسروا الأحداث والتاريخ والوقائع تفسيرًا ماديًا: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ [الطور:٤٤]، وليس هناك مجال - عندهم - لمفهوم الإيمان المقترن بالآية الكونية، ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٤) تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لاَ يُرَى إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف:٢٤، ٢٥].

ولما كانت نظرتهم إلى الحدث بهذه الصورة المادية البعيدة عن الإيمان كان علاجهم للمشكلة من هذه الزاوية أيضًا؛ إذ لَمَّا حدث الزلزال اتجهوا للبحث عن خبراء اليابان والمراصد وأحزمة الزلازل في العالم - ونحن لا نقلل من شأن العلم الحديث - لأن المؤمن يتخذ الأسباب التي أودعها الله في كونه، ولكنه - أي المؤمن- لا يكتفي بالأسباب فقط وإنما يتجه إلى خالق

عندما وقع الزلزال اتجهوا للبحث عن خبراء اليابان والمراصد وأحزمة الزلازل في العالم ونحن لا نقلل من شأن العلم الحديث ولكنه لا يكتفي بالأسباب فقط وإنما يتجه إلى خالق الأسباب مبدع الكون فيطلب منه العون!!

الأسباب مبدع الكون الذي إذا أراد أمرًا فإنما يقول له كن فيكون ، فيطلب منه العون والمدد حتى لا يتشبه بولد نوح ، لما قال له أبوه: ﴿يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلاَ تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ﴾ ، كان جوابه باحتياطات مادية أيضًا : ﴿قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لاَ عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللّهِ إِلاَّ مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ﴾ [هود:٤٣] .

فهل نسي العلمانيون - أو تناسوا - بأن القشرة الأرضية تاتمر بأمر الله ؟ قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت:١١] .

فكل ما في الكون طوع أمره جل وعلا خاضع لعظمته متذلل لجلاله : ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، أمرها فأطاعت وأسجدها فسجدت وأمسكها لتؤدي دورها: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن تَزُولا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١].

والعقلاء يعلمون أن الأرض بيد الله وحده يحركها كيف يشاء ، وفي كتاب الله ذِكْرُ الخسف الذي لحق بقارون لما عتا وتكبر بسبب ما أعطاه الله تعالى فكان التذكير بنهاية طاغية وهو قارون الذي نسب الفضل لنفسه ولم ينسبه لصاحبه، فقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾ ، فكان الجزاء : ﴿فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُنتَصِرِينَ﴾ [القصص:٨١] .

وانظر إلى قوم لوط لما استباحوا الفاحشة وإتيان الرجال من دون النساء شهوة وترديًا في حمأة الرذيلة فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر : ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ﴾ [هود:٨٢] .

إن ما أصاب ثماني دول في زلزال تسونامي أولى بنا أن نفسره على أن هذا جزاء ما اقترفت أيدي الناس من حل للربا والخمر والزنى والحرب على كتاب الله واتخاذ آيات الله هزوًا فكان كما قال ربنا : ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا (٨) فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

إن كثيرًا من المنكرات تُرتكب باسم الفنون والآداب والحداثة والعصرية من خلال وسائل الإعلام والسياحة والتي يتمكن فيها العلمانيون فيشوشون على أهل الإيمان إيمانهم، وما نجم

عن هذا الزلزال المدمر من هلاك وإبادة لمدن بأسرها فيها الصالح والطالح هو من سنن الله تعالى كما روى البخاري في صحيحه أن السيدة زينب بنت جحش سألت رسول الله ﷺ : أنهلك وفينا الصالحون ؟ قال : «نعم ، إذا كثر الخبث».

قال ابن حجر : الخبث : هو الزنى وأولاد الزنى .

وقال ﷺ : «إن الله يغار من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»، ولعل انتشار سياحة الجنس في هذه البقاع والاستعلان بالفاحشة أدى إلى هذا الدمار الهائل والذي لم يقف عند محل الزلزال وإنما تعداه إلى أماكن بعيدة .

قال تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لاَّ تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ [الأنفال :٢٥].

وقال آخرون : إن بلادًا كثيرة كأمريكا وأوربا انتشرت فيها الفواحش أضعافا مضاعفة ولا يزالون في نعمة تتلوها نعمة!!

نقول: إن الله جل وعلا يستدرج أهل الباطل ويعطيهم على المعاصي ليس حبًا لهم ولا رضا عنهم ولكن استدراجًا، قال تعالى: ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴾ [الأنعام:٤٤].

وقال تعالى : ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لاَ يَعْلَمُونَ (٤٤) وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ﴾ [القلم:٤٤، ٤٥].

فأما المؤمنون إن قصروا وعصوا فإنما تصيبهم النوازل لتعيدهم إلى سواء السبيل ، قال تعالى : ﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ [الروم:٤١] .

وأخيرًا نقول لمن أراد معرفة الزلزال قبل وقوعه فلقد نبه رسولنا ﷺ إلى ذلك فيما رواه البخاري : «لا تقوم الساعة حتى يقل العلم ويفشو الجهل وتكثر الزلازل ويفيض المال فلا يقبض» .

وقد قل العلم الشرعي وإن زادت العلوم الدنيوية التي لا نقلل من أهميتها ولكن على حساب العلوم الإسلامية ، وفشا الجهل بالتوحيد ومنهج أهل السنة والجماعة وكثرت الزلازل كما رأينا .

وهذه إرهاصات بين يدي الساعة تدل على قرب وقوعها ولكننا لا يمكن أن نحدد عددًا معينًا من السنين كما ذهب بعض الدجاجلة إلى ذلك ، وإنما نقول : ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لاَ يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لاَ تَأْتِيكُمْ إِلاَّ بَغْتَةً ﴾ [الأعراف:١٨٧].

ومن الجدير بالذكر أن المسلمين لهم نظرتهم الإيمانية إلى الأشياء والأحداث والتاريخ ، إلا أن العلمانيين الذين أشربوا في قلوبهم حب الغرب الصليبي أو الإلحاد الشيوعي زلزلوا حياة الأمة وشككوا العامة في إيمانهم برب الأرض والسماوات بنظم التعليم والإعلام.

فهل من عودة صادقة إلى الله جل وعلا حتى يرفع عنا هذه الغمة كعودة قوم يونس : ﴿إِلاَّ قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا آمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَى حِينٍ ﴾ [يونس:٩٨].

هل من عودة إلى شريعة الإسلام وأحكامه لتدفع عنا الخزي والعنت ؟ هل من مجيب ، وهل من مدكر؟

والحمد لله رب العالمين

جماعة أنصار السنة المحمدية
المركز العام
إدارة البحث العلمي

# حفل توزيع جوائز القرآن الكريم والبحث العلمي

يسر إدارة البحث العلمي بالمركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية أن تعلن عن أسماء الفائزين في مسابقة البحث العلمي على النحو التالي:

**الفائزون بالمركز الأول وجائزة كل منهم قدرها ١٠٠٠ جنيه**

- رضا عبد المنعم أبو الغيط الشرقية
- سيف النصر علي عيسى المنيا
- حمدي عبد الله أحمد الصعيدي البحيرة
- ربيع محمد أحمد حسين قنا

**الفائزون بالمركز الثاني وجائزة كل منهم قدرها ٧٥٠ جنيها**

- السيد علي أحمد الصوري الشرقية
- جمال عبد الخالق السيد الشرقية
- محمد وجيه عبد الباسط المنصورة
- فريق بحث فرع بلقاس الدقهلية

**الفائزون بالمركز الثالث وجائزة كل منهم قدرها ٥٠٠ جنيه**

- هاني خيري فريد محمد
- حماد عبد الجليل الغربية
- صلاح محمود محمود الباجوري الغربية
- أميمة أحمد إبراهيم الهرم

**الفائزون بالمركز الرابع وجائزة كل منهم قدرها ٣٠٠ جنيه**

- محمود أحمد راشد جيزة
- سيد عبد التواب محمد المهدي الفيوم
- عادل محمد سيد خليف الشرقية
- حسن إبراهيم يوسف الشرقية

**الفائزون بالمركز الخامس وجائزة كل منهم قدرها ١٥٠ جنيها**

- عايدة راضي عبد العليم كوم حمادة
- هناء صافي إمام يوسف القاهرة
- أحمد رشدي العدوي سوهاج
- عبد الله أحمد محمود علي الإسكندرية

**الفائزون بالمركز السادس وجائزة كل منهم قدرها ١٠٠ جنيه**

- نصر قمر الدولة البنا الغربية
- كريم طارق أحمد مصر الجديدة
- أيمن أنور عبد الفتاح كفر الشيخ
- أحمد محمد السيد عبد الرحمن المنوفية

## جوائز لجميع المشاركين في مسابقتي القرآن والبحث العلمي

يُرجى من جميع المشاركين بالبحوث العلمية الحضور يوم حفل توزيع الجوائز ومعهم إثبات الشخصية، ويَسْعَد المركز العام لجماعة أنصار السنة المحمدية باستقبال الفائزين وجميع المتسابقين ممن شاركوا في مسابقة القرآن الكريم أو قدموا بحوثا في مسابقة البحوث العلمية، وتشرُف الجماعة بتكريمهم جميعًا بجوائز أخرى قيمة في حفل حاشد يحضره لفيف من العلماء والدعاة من فروع أنصار السنة المحمدية ليشاركوا في تكريم أهل القرآن وطلبة العلم:

**يوم الأحد ١١ المحرم سنة ١٤٢٦هـ الموافق ٢٠ فبراير سنة ٢٠٠٥م**

**وذلك بعد صلاة الظهر بالمركز العام بالقاهرة إن شاء الله**




# عن حقيقة الضريح

## الحلقة الأولى

الحمد للَّه حمد الشاكرين، وأشهد أن لا إله إلا اللَّه، وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير، وأستغفره استغفار المذنب الذليل، راجي عفو مولاه الكريم، سائلا إياه بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يقبلنا بحلمه العظيم.

وأصلي وأسلم على سيدنا محمد بن عبد اللَّه، الرحمة المهداة، والنعمة المسداة، بعثه ربه ليخرج الناس من ظلمات الجهل والشرك، إلى أنوار العلم والتوحيد، فالفائز من سار على دربه واتبع سنته، وعاش محسنا ومات مُقرا للَّه عز وجل بالوحدانية ولمحمد ﷺ بالرسالة، وأصلي وأسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، ووارض اللهم عن الصحابة الأنصار والمهاجرين، وعلى آل البيت الأطهار المكرمين، وعباد اللَّه الصالحين وعنا معهم برحمة مولانا الكريم، أما بعد؛

فقد عقدت النية على كتابة هذه المقالات، حين تكشفت لي حقائق لا يعلمها كثير من الناس، ومنها: الارتباط الوثيق بين الفرق المنحرفة عن الصراط المستقيم والأضرحة، فالأضرحة ومشاهد الأئمة عند الشيعة، والأقطاب والأولياء في الفكر الصوفي، يمثلان عمود الرحى تدور حوله كثير من المعتقدات، وردهم دائما ينحصر في اتهامنا بعدم محبة آل البيت، أو الهجوم على الأولياء، ولابد لكل منصف أن يفرق بين النتائج المستخلصة من دراسة الحقائق التاريخية، الموصلة إلى أدق الإجابات، وحسم القضايا التي تباينت فيها الاتجاهات، وبين الانتصار والمحبة لآل البيت رضوان اللَّه عليهم أجمعين، فنحن نشهد اللَّه على حبهم، ونعتقد سمو مكانتهم، ونؤمن أن فاطمة رضوان اللَّه عليها سيدة نساء العالمين ما خلا مريم بنت عمران، وأن الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وأن علي بن أبي طالب رابع الخلفاء الراشدين، والمبُشر بالجنة، وصاحب الكرَّات والمجاهد في سبيل اللَّه حتى أتاه اليقين.

إن كتابة التاريخ تأثرت بالأهواء، وتدافعت فيها التيارات، حتى أنك تسمع للحدث الواحد روايتين على تناقض تام؛ فالمؤرخ قد يتشيع لفريق، فينتصر له، بينما الآخر على الطرف النقيض، فدراستنا عن حقيقة ضريح رأس الحسين والمشهد الزينبي في القاهرة، لا يحق لعاقل أن يستغلها في اتهامنا بأننا مع هذا الفريق أو ذلك التجمع، فاللَّه من وراء القصد

إعداد
محمود المراكبي

وهو يهدي إلى سواء السبيل.

ولو حصرنا الهدف من هذا القول الصريح عن حقيقة الضريح في إماطة القناع عن وجه الحقيقة لهان الأمر، ولكن الهدف هو لماذا وُضع القناع؟ ومن صاحب المصلحة في وأد الحقيقة؟ ومن المنتفعون من وراء رواجها؟ ومن الذين سيهبون بقوة للهجوم على ما نصل إليه من نتائج؟ إن أصحاب المصالح تتعدد انتماءاتهم، وتتفاوت أهدافهم، ولن تجد في هجومهم فكرا علميا، ولكن سبا وشتما، واتهاما وتجرأ بالباطل، وهذا كله سرعان ما يتلاشى ككل زوبعة، وإذا جاء الحق، فليس للباطل مكان يرحل إليه؛ لأنه سيزهق من ساعته، نسأل المولى الكريم أن يجعلنا من أولياء الحق، ومن جند الانتصار لله ولرسوله، وليس بعد ذلك من شرف، وما وراءها إلا رضوان من الله أكبر، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

ولسنا أول من اهتم بهذه القضية، فقد سبقنا إليها عدد من العلماء والباحثين، اجتهدوا لبيان الحق فيها، والسؤال عنها يدور منذ قرون بعيدة، فقد وجه أحد المسلمين في القرن السابع الهجري سؤالا إلى شيخ الإسلام ابن تيمية جاء فيه: "ما تقول السادة العلماء أئمة الدين وهداة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، وأعانهم على تحقيق الحق المبين، وإخماد شَغَب المبطلين: في المشهد المنسوب إلى الحسين ( بمدينة القاهرة: هل هو صحيح أم لا؟ وهل حُمل رأس الحسين إلى دمشق، ثم إلى مصر؟ أم حُمل إلى المدينة من جهة العراق؟ وهل لما يذكره بعض الناس من جهة المشهد الذي كان بعسقلان من صحة أم لا؟ ومَنْ ذكر أمر رأس الحسين، ونقله إلى المدينة النبوية دون الشام ومصر؟ ومَنْ جزم من العلماء المتقدمين والمتأخرين بأن مشهد عَسقلان ومشهد القاهرة مكذوب، وليس بصحيح ؟ وليبسطوا القول في ذلك، لأجل مسيس الضرورة والحاجة إليه، مثابين مأجورين إن شاء الله تعالى".

فالموضوع إذن يشغل بال كثيرين ومن قرون عديدة، وربما ورث جمهور المسلمين الكثير من المعتقدات على أنها مسلمات، كما أن همومهم في حياتهم اليومية أولى بالانشغال من موضوعنا هذا، ولكن الأمر يحتاج إلى إبراء الذمة، وتوضيح الحق لمن أراد، أو بحث عنه من أفراد الأمة، وقد يجد الإجابة الشافية عند ابن تيمية، فمن أراد الاطلاع عليها فليرجع إلى الفتاوى الكبرى التي جمعت بعضا من علم شيخ الإسلام.

والمشكلة في قومنا اليوم أنهم لا يقرءون، وبالتالي يستمر الخطأ ويبقى، وربما يستفحل مع الأيام، ويفقد الناس علم العلماء، حتى من يريد أن يكتب في موضوع معين لا يكلف نفسه البحث في أقوال من سبقه، فلا بد لأي كتاب من إضافة جديدة، وإلا انتفى الغرض العلمي من تاليفه، وأصدق دليل على قولي هذا كتاب "مراقد آل البيت" الذي ألفه الشيخ/ محمد زكي إبراهيم شيخ طريقة العشيرة المحمدية، وهي طريقة صوفية معروفة وشيخها رحمه الله كان معروفا في مصر، وله دوره في الدفاع عن الصوفية في كل مناسبة، ويشيد بتمسك طريقته بالكتاب والسنة، ورغم جهوده وغيره في إصلاح التصوف، ومحاربته لبعض البدع ومظاهر الشرك، إلا أن الرجل لم يرجع إلى ما كتبه ابن تيمية، ولم يقم بنقض أسانيده وحقائقه، وبالتالي من يقرأ كتابه يظنه جهدا علميا وتاريخيا طيبا، والحقيقة خلاف ذلك، فالكتاب يُعد أحد المفاسد التي تحتاج لجهود لإصلاحه، وتحتاج إلى نقد علمي، ومناقشة أدلته في مقابل أدلة شيخ الإسلام، مع بحث إضافي لتغطية نقاط غفل عنها ابن تيمية، والشيخ/ محمد زكي إبراهيم أيضا، وقد انتصر الرجل في كتابه مراقد آل البيت لوجود عدد لا بأس به من هذه المراقد في مصر، رغم أن ذلك يخالف الحقائق التاريخية، فتراه يدافع عن وجود قبر السيدة زينب بنت علي بن أبي طالب رضوان الله عليهما في القاهرة، وأن رأس الحسين ( قد نقلت من عسقلان إلى القاهرة، ويسوق الشيخ أدلته، وبراهينه التي اعتمد عليها، فقلت في نفسي: لو أن الشيخ قرأ فتوى ابن تيمية لأراح واستراح، ولكن الصوفية يتبعون سياسة المقاطعة الفكرية لآراء كل من خالفهم.

لذلك زادت الرغبة في قلبي للكتابة في هذا الموضوع ليس لمناقشة شيخ العشيرة المحمدية فيما جاء في كتابه "مراقد آل البيت"، أو للرد على أدلته وبراهينه فقط، ولا ليكون تعميقا لفتوى ابن تيمية، أو نسخة حديثة منقحة من فتوى شيخ الإسلام، تُصوب في نفس الوقت ما ذهب إليه شيخ العشيرة، وإنما أردت أن أوفي الموضوع حقه، وكان لا بد عند الكتابة في هذا الموضوع من استيفاء هذه النقاط التالية: التحقيق العلمي والتاريخي لقبري السيدة زينب وسيدنا الحسين رضي اللّه عنهما، ثم تناول موقف السنة من القبور والأضرحة، وهل لنا أن نجمع بين ضريح ومسجد في مكان واحد ?مع بيان لأحكام المذاهب الأربعة حول الموضوع، ثم نناقش آراء المخالفين ودعاواهم بأنهم يحبون آل البيت، ويودونهم اتباعا للمودة في القربى، ونشرح اللبس الحاصل في حجج هؤلاء، ثم تناول ما يترتب على اعتقاد الناس وجود القبرين بمصر، ثم نناقش الظروف السياسية لمقتل الحسين، التي تهيئ لخروجه من الحجاز إلى العراق حتى الشهادة ?ونوضح موقف الناس من خلافة أمير البلاد، وهل يجوز لأحد أن يطلب البيعة لنفسه بعد انعقادها للخليفة الأول؟ وقبل أن يطلب أحد البيعة لنفسه: هل لأحد أن يطلب الإمارة أصلا؟ وما حكم طلب الإمارة؟ إننا ما زلنا نصلى حتى اليوم نار هذه القضايا، ثم نتناول نصح الصحابة والتابعين للحسين، ثم نفسر موقفه في محاولة منا لبيان الدافع الحقيقي لخروجه، وتستمر الأحداث حتى يقتل الحسين، وتبدأ قضية رأس الحسين وموضعها اليوم.

ولمزيد من البيان كان لا بد من أن نقدم جميع وجهات النظر ثم نناقشها، ولا بد من تعميق التفكير في الحالة السياسية التي دعت الفاطميين إلى نقل رأس الحسين إلى مصر، وأيضا نناقش أدلة الأطراف المتأرجحين بين الإثبات والنفي، ثم نوضح رأي ابن تيمية باعتباره أكثر العلماء تفهما لأبعاد هذه القضية وأعمق من تكلم فيها، ونشرح أوجه اعتراضه على وجود الرأس في مصر، ثم نحسم القضية بالرأي الصحيح، والقاطع في شأنها بتوفيق اللّه تعالى.

ثم نستكمل الموضوع بالحديث عن السيدة زينب رضوان اللّه عليها، ونناقش ظروف دخول السيدة زينب إلى مصر كما يزعم المؤيدون، وهل دخلت مصر فعلا أم تلك فرية أخرى من افتراءات الباطنية ?وأين دفنت؟ وأقوال شهود العيان، ونسترشد بحقائق التاريخ، حتى نتمكن من مناقشة روايات دخولها لمصر، كما نوضح بعض المشاهد الكاذبة، والمختلقة سواء في مصر، أو غيرها من البلدان، والتي يحتاج حصرها، وتتبعها إلى دراسة مستقلة تستوفي جوانب الموضوع، وكان لزاما علينا قبل أن نختم الحديث عن هذا الموضوع أن نشرح أشهر لقب خلعه المصريون البسطاء على السيدة زينب رضوان اللّه عليها ألا وهو رئيسة الديوان، فنعرج على الديوان، ونتعرف على هذا العالم السري الباطني العجيب.

ومسك الختام بيان حكم التصريف في ضوء الكتاب والسنة، وحكم العلماء فيمن آمن بتصريف الأولياء ، وقد تكون هذه النقطة من أهم ما يجب الإلمام به حيث نوضح أنواع الشرك التي يجب على المسلمين أن يتجنبوها لصيانة دينهم، والحفاظ على عقيدتهم ،

وهذا ما سيتم نشره بتوفيق الله تعالى في المقالات التالية تباعا

وأدعوه سبحانه أن يجعله علما نافعا للمسلمين على مر السنين والأعوام، وحسما صحيحا لمن شغلته الحقيقة فراح يبحث عنها، كما أدعوه جل شأنه أن يجعله في ميزان حسناتنا يوم القيامة واللّه تعالى ولي التوفيق. ونسأله الهداية إلى سواء السبيل، وصلِّ اللّهم على محمد عبدك ورسولك وعلى آله وصحبه وسلم.

# التحذير من صحبة السوء

إعداد/ صلاح عبد المعبود

**الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:**

**فإن المرء على دين خليله، والمرء يُعرف من صديقه، لأن الأشباه تجتمع وتتقارب، والطيور على أشكالها تقع، ولا أنفع للإنسان ولا أضر عليه من البيئة والصحبة، ولذلك أوصانا النبي ﷺ: «لا تصاحب إلا مؤمنًا ولا ياكل طعامك إلا تقي».**

وأخرج مسلم في صحيحه، قصة رجل من الأمم السابقة قتل تسعًا وتسعين نفسًا، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض- بغية التوبة- فدلوه على عابد، فأتاه وأخبره أنه قتل تسعًا وتسعين نفسًا فهل له من توبة؟ فقال له: ليست لك توبة فقتله فأكمل به المائة- لكن الشعور بالذنب والندم على فعله والخوف من الله والإنابة إليه والحنين إلى التوبة، كل ذلك تحرك في قلبه، وجاشت في صدره العودة والرجوع إلى الله خوفًا من عذابه وطمعًا في جنته، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدلوه على عالم، فأتاه وأخبره أنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة، فقال له: نعم ومن يحول بينك وبين التوبة؟ ولكنك في أرض سوء يُعبد فيها غير الله، فاذهب إلى أرض كذا وكذا، فإن فيها قومًا يعبدون الله فاعبد الله معهم، فحمل متاعه وخرج من قريته وبينا هو في منتصف الطريق أتاه ملك الموت فقبض روحه، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، قالت ملائكة الرحمة: إنه رجع إلى الله تائبًا، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل حسنة قط، فأرسل الله إليهم ملكًا ليُحَكِّموه بينهم، فقال لهم: قيسوا ما بين القريتين فإلى أيتهما كان أقرب فخذوه إليها، فأوحى الله عز وجل إلى الأرض الطيبة أن تقاربي، وإلى الأرض الخبيثة أن تباعدي، فلما قاسوا ما بين القريتين وجدوه إلى الأرض الطيبة أقرب فأخذته ملائكة الرحمة إلى الجنة.

إنها قصة عظيمة النفع، أرشد فيها هذا العالمُ الرجل التائب إلى عدة أمور من أهمها:

١- تغيير البيئة بالانتقال من أرض السوء إلى الأرض الطيبة.

٢- تغيير الصحبة السيئة إلى صحبة طيبة تعين على طاعة الله.

فالإيمان يزيد في البيئة النقية، وفي جوار الصالحين والمتقين، ولذلك كان من دعاء سليمان عليه السلام: «وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين».

وكل فساد وبلاءٍ وانحراف إنما ينشأ من أعوان الشيطان وجنوده من الأنس الذين يفتحون على العبد أبواب الغفلة والشهوات ولا يعينون على فعل الطيبات والصالحات، وكم من عبد قد احتوشه قرناء السوء وأصحاب الشهوات، فزينوا له الباطل وأَعْمَوْا بصره وبصيرته عن رؤية الحق ومشاهدة مواطن الخير والفضل، وثبطوا همته عن التشمير عن ساعد الجد ومواصلة السير في طريق الجنة وسبل الخير، ولقد نهانا ربنا عن مصاحبة الأشرار، وبين أنهم يوم القيامة سيتبرأ بعضهم من بعض وسيلعن بعضهم بعضًا، وسيتهم كل منهم الآخر أنه كان وراء ضلاله وإفساده ﴿قَالَ

ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُواْ فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾.

أما المؤمنون الصادقون فقد نزع الله من صدورهم الغل وجعلهم إخوانًا على سرر متقابلين في جنات النعيم: ﴿الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ (٦٧) يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ﴾.

ولقد أرشدنا النبي ﷺ إلى من تجب مصاحبته وملازمته، وذكر سمات الجليس الصالح والجليس السوء، فقال: «مثل الجليس الصالح والجليس السوء كمثل صاحب المسك وكير الحداد: لا يعدمك من صاحب المسك إما تشتريه أو تجد ريحه وكير الحداد يحرق بيتك أو ثوبك أو تجد منه ريحًا خبيثة». [البخاري: ٢٠٤٩].

فالصاحب الصالح هو المطيع لربه المستقيم على أمره، الأمين على دينه، العاقل الذي يقهر هواه، فلا خير في مصاحبة الأحمق السفيه الخائن الفاجر، وقد بيّن النبي ﷺ أمارات النفاق وحذر أمته من شعبه بقوله: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر، وإذا عاهد غدر». متفق عليه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء، وضع أمر أخيك على أحسنه حتى يجيئك ما يقلبك منه، واعتزل عدوك، ولا تصاحب الفاجر فتتعلم من فجوره، ولا تطلعه على سرك، واستشر في أمورك الذين يخشون الله تعالى...».

فلا بد من صحبة الأخيار والعيش معهم، فإن العبد وحده ضعيف أمام الأوامر والتكاليف، ولذلك فإن الجماعة رحمة وعون على الطاعة والاستقامة، والفرقة عذاب وشؤم، ولذلك قال النبي ﷺ: «عليكم بالجماعة فإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية»، وذلك يتأكد بالحث الدائم على صلاة الجماعة في المسجد حيث تذوب الفوارق وسط الجماعة بين المؤمنين، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: «من سره أن يلقى الله تعالى غدًا مؤمنًا فليحافظ على هؤلاء الصلوات الخمس حيث ينادى بهن فإنهن من سنن الهدى، وإن الله شرع لنبيكم ﷺ سنن الهدى، ولو أنكم صليتم في بيوتكم كما يصلي هذا المتخلف في بيته لتركتم سنة نبيكم ولو تركتم سنة نبيكم لضللتم، ولقد رأيتنا وما يتخلف عنها إلا منافق معلوم النفاق، ولقد كان يؤتى بالرجل يُهادى بين الرجلين حتى يُقام في الصف».

فالمرء قليل بنفسه كثير بإخوانه، والشيطان يفترس العبد إذا كان وحده وهو عليه أشد بصحبة السوء وأعوان الشر، ومن ثَمَّ فعلى العاقل أن يتخير أقرب الناس إليه والملتصقين به، فإنه يُعرف بهم، ومن أحب قومًا حُشر معهم، ومن تشبه بقوم فهو منهم، ومن أدخل نفسه مدخلاً يتهمه الناس فيه فلا يلومن إلا نفسه، فقد سبق بذلك الإنذار والوعيد والأمر والنهي.

إن صحبة السوء عدوٌ مبين، وبطانة خبيثة، وجنود حاضرة للشيطان أينما يوجهها تسير وتعمل، ولذلك فلا خير إلا في صحبة المؤمن، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأعراضهم، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده.

والله من وراء القصد.

# عِبر للأنام في انقضاء الأعوام

إعداد

د. علي عبد العزيز الشبل

الحمد لله الذي جعل في تعاقب الأيام والليالي والشهور والأعوام عبرة وآية، وثنّى بذكر ذلك في القرآن آية بعد آية، فقال سبحانه في سورة البقرة: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِن مَّاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٦٤]

وفي آخر سورة آل عمران يقول سبحانه: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ﴾، وفي سورة يونس: ﴿إِنَّ فِي اخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ﴾.

وفي سياق الآيات الكونية في سورة النور، يقول عز وجل: ﴿يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُوْلِي الأَبْصَارِ﴾.

هذا كله منه عز وجل استنانٌ على عباده وتذكيرٌ لهم بآياته الدالة على وحدانيته في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته وأفعاله.

فاقسم سبحانه بالعصر وببعض الأوقات كالفجر والضحى والليل والنهار في فواتح عدد من قصار المفصل من القرآن المكي، كما أقسم بالقمر والليل وإدباره والصبح وإسفاره في قوله عز وجل من سورة المدثر: ﴿كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ﴾، ويقول سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ (١٧) وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾.

وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته تنويهًا بها وإبرازًا لعظمته في خلقها، وليس للمخلوق أن يقسم إلا بالله وأسمائه وصفاته.

ومن آياته سبحانه استدلاله بانفراده بالعبودية وحده بمعجزاته وآياته الباهرة الدالة على وحدانيته، فيقول سبحانه في سورة فصلت منها: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾.

إننا معاشر الأحبة نتذكر ونعتبر في تسخيره سبحانه الليل والنهار لعباده ليحقق لهم خلافة الأرض، ولتقوم مصالحهم ومعايشهم فيعلنوا بذلك توحيده وحده، والإسلام له وحده بإصلاح الدنيا بالإيمان به وحده، فامتن سبحانه بذلك في قوله من سورة إبراهيم: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾.

وفي سورة النحل بعدما يقول سبحانه: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

كلُّ هذا في الحقيقة يدل ويؤكد على أصول مهمة وقواعد إيمانية عقدية راسخة وجليلة، وأهمها أمران:

أولهما: الاعتراف واليقين بوحدانيته سبحانه في أفعاله المستلزمة والمحقّقة لواحدانيته سبحانه في إلاهيته وعبوديته وحده دونما شريك له فإذا تحقق هذا وحُقّق؛

فثانيهما: جعل الإنسان؛ آدم وذريته في الأرض خلفاء ليعمر دنياهم بالتوحيد، فيكون في انقضاء الزمان بلياليه

وأيامه وأعوامه، انقضاء أعمارهم وتحولهم إلى دار الجزاء والثواب.

فهو للمؤمن عبرة وأيّ عبرة على انقضاء مهلته ودنو أجله بتصرم العمر ونهايته وهو للمؤمن- لا الغافل- نذيرٌ وتنبيه ليفتح عقله وقلبه فيحاسب نفسه على ما مضى من تفريط أو غفلة أو إعراض ويحملها في مستقبل أيامه على فعل الجميل، ويأطرها على الحق أطرًا.

أيها الأحبة: إن في انقضاء الأعوام عبرةً وذكرى على حقارة الدنيا وترك الأمل، وذكرى على جلالة الآخرة وعظمتها، وذكرى على الزهد والورع وملازمة التقى.

إننا معشر المسلمين ونحن نودع عامًا ونستقبل عامًا آخر لا بد أن نتذكر أمورًا هامة جدًا.

١- فنتذكر ذلكم الحدث العظيم الذي غير وجه التاريخ، الذي أعز الله به الملة وأذل به الكفر وأهله، فنتذكر هجرة خليل الله ورسوله محمد ﷺ من مكة إلى المدينة، من بلد الكفر آنذاك إلى بلد التوحيد والسنة، من ذل الكفر وأهله، إلى عز الإسلام وأهله.

نتذكر الهجرة فنستفيد منها دروسًا في ديننا وعقيدتنا وأعمالنا أهمها:

أ- أن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد التوحيد، ومن بلد الكفر إلى الإسلام واجبة عينًا، وباقية أبدًا إلى قيام الساعة، كما جاء بذلك الخبر عنه ﷺ، ولقوله تعالى في سورة النساء: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُوْلَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا (٩٧) إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً (٩٨) فَأُوْلَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا ﴾.

ب- أن الهجرة في كمالها وتمامها هي في الهجرة من الذنوب والمعاصي إلى التوبة والعمل الصالح، كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه». هذا، ولقد روى أحمد وأبو داود بسند جيد عن ابن عوف وابن عمر ومعاوية رضي الله عنهم مرفوعًا: إن الهجرة خصلتان: إحداهما: أن تهجر السيئات، والأخرى أن تهاجر إلى الله ورسوله ولا تنقطع الهجرة ما تُقبلت التوبة ولا تزال التوبة مقبولة حتى تطلع الشمس من المغرب، فإذا طلعت طُبع على كل قلب بما فيه وكفي الناس العمل. وأخرج أحمد وغيره بسند حسن عن عبد الله بن السعدي رضي الله عنه مرفوعًا: «لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقاتل».

٢- نتذكر وجوب العمل بالتاريخ الهجري المرتبط بعز الإسلام والمسلمين، والمرتبط بهجرة سيد البشر ﷺ فلا ينبغي عنه بديلاً، إن محبتنا الصادقة له ﷺ ولدينه توجب وتحتم علينا الاعتزاز بذلك والعمل به ورفع الرأس بشرف هجرته.

كيف لا وهو تاريخ أصحابه الذين أُمرنا بلزوم طريقتهم واتباع سبيلهم ونُهينا أشد النهي عن ضد ذلك من مخالفتهم واتباع غير هديهم، كما في قوله تعالى من سورة النساء: ﴿ وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴾.

٣- إننا يجب أن نعتبر ونتذكر من عاشوا معنا في عامنا الماضي، ثم مضوا قبلنا من آبائنا وأمهاتنا وأحبائنا ومن قبض من علماء وقادة وفضلاء، بهم فُجعت الأمة، وحصلت الرزية، فنقصت بهم الأرض من أطرافها، ورُفع بهم العلم وتناقص الخير والهدى، فإلى الله المشتكى، وبه المستعان ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴾.

٤- إننا نحذر من الاغترار بفعل الجاهلية أو المقلدين لغيرهم من كفار الغرب بإحداث احتفالات بدخول العام الهجري الجديد أو إحداث أعياد لانصرام العام الماضي فإن الرزية والمصيبة في التشبه باليهود والنصارى ومشابهتهم في عقائدهم وعباداتهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

أعاد الله علينا الأعوام بالعز والنصر والتمسك بدينه القويم، والحمد لله رب العالمين.




ندعوك أخي المسلم للمشاركة في نشر العقيدة الصحيحة والعلم النافع عسى الله أن يهدي بك بعض خلقه، قال صلى الله عليه وسلم: «لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خيرٌ لك من حمر النَّعم».

يمكنك المشاركة بدعم مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل: السنة الكاملة ٢٠ جنيهاً مصرياً أو ١٥ ريالاً، و٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالاً قيمة الاشتراك الخارجي، لتوزع مجاناً لطالب علم، أو معلم، أو واعظ ينفع الله به مجتمعه.

ويمكنك المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة.

ونسأل الله التوفيق للجميع




يرجى الاتصال بإدارة المشروعات بالمركز العام ٨ شارع قولة عابدين ـ القاهرة ـ تليفاكس : ٣٩١٦٠٣٤ ت : ٣٩١٥٤٥٦ ـ ٣٩١٥٥٧٦
يرجى إيداع التبرعات بحساب رقم / ٢١٨٨٠ ببنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة وإرسال صورة إيصال الإيداع على الفاكس رقم: ٣٩١٦٠٣٤، أو عمل حوالة بريدية باسم/ مدير إدارة المشروعات على مكتب بريد عابدين على نفس العنوان